رواية

سيدتى المجنونة

إبراهيم طه شوكت

الطبعة الأولى
الكتاب : سيدتى المجنونة
المؤلف : إبراهيم طه شوكت
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٠٤٥٣ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 776 - 120 - 8

دار يسطرون

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

وحى القصة

كان منزلنا يقع فى شارع داير الناحية ... وشارع داير الناحية يخترق القرية من منتصفها , كما لو كان محيط دائرة , وقى مقابل منزلنا كان يقع منزل المجنونة .

كانت أحياناً ماتكون هادئة مسالمة , وأحياناً كثيرة هائجة تثير المشاكل .. وكنت انظر اليها واتحسر على ما هى فيه ..... إن الجمال الذى يكسوها يجعل من ينظر اليها مصابا بالحسرة على هذا الجمال الذى كسا هذا الجسد , فقد كانت بيضاء البشرة , ناصعتها , خضراء العينين , ممشوقة القوام . ولهذا كان جمالها يطغى على ما سواه , ويشفع لها جنونها .

كانت الحسرة دائما تنتابنى كلما شاهدتها , وتزداد عندما أراها هائجة , مما دفع فضولى أن أعرف قصتها

وذات يوم سألت أمى :

- يا أمى .. هل ولدت المجنونة هكذا , أم أصابها الجنون عندما كبرت ؟

قالت أمى :

لا ياولدى , لقد كانت أجمل وأعقل فتيات القرية , واكثرهن رجاحة عقل , وإنما أصابها ما أصابها من جنون وهى فتاة كبيرة فى ريعان الشباب

- وهل أتاها الجنون فجأة ؟

- أجل يا ولدى , لقد ألم بها نتيجة ما عانته وكابدته من قسوة الحياة والظلم الذى وقع عليها ولم تستطع دفعه أو تقوى عليه

- هل لك يا أمى أن تقصى على قصتها ؟

- أجل ياولدى سأقص عليك قصتها .

قصت أمى حكاية المجنونة , واختلطت أحداث القصة بخيالى فكانت . "سيدتى المجنونة " أو " الصفصافة "

المقـدمـة

ظلام .. ظلام ... ظلام فى ظلام

الظـلام الدامـس يلـف القريـة بـرداء أسـود داكـن , فلـم تكـن الكهربـاء قـد أدخلـت فـى القريـة بعـد .. وعندمـا يبـدأ النهـار فـى الإدبـار يبـدأ الليـل فـى إحتـواء القريـة بجناحيـه المظلمـين ويـكاد السـائر فـى طرقاتهـا لايـرى يـده , فالطـرق مظلمـة لا ينيرهـا سـوى بعـض القناديـل الزجاجيـة المتناثـرة فـى الطرقـات , وكل قتديـل بـه " لمبـة غـاز نمـرة خمسـة " لا تنـير أكثـر مـن مترين أو ثلاثـة بضـوء خافـت باهـت , فقـط تعطـى الأمـان للسـيارة , وهـى لا تعلـق إلا أمـام منـازل الموسـرين أو مـن لهـم بعـض الشـأن .

أضـف إلى مـا يعـم القريـة مـن الظـلام ليـلاً , فـإن الجهـل أيضـاً يغلفهـا , فليـس فـى القريـة سـوى كتـاب واحـد ومدرسـة إلزاميـة واحـدة ، يقصدهـا بعـض العشـرات مـن الصبيـة الذيـن ينتهـى تعليمهـم بعـدد سـنوات الدراسـة فـى هـذه المدرسـة ولا يجنـون منهـا علمـاً , فكمـا دخلوهـا خرجـوا منهـا .. يشـذ منهـم صبـى أو أثنـين أو ثلاثـة بالـكاد , وهـم مـن أبنـاء الموسـرين يواصلـون

تعليمهم فى أقرب مدينة للقرية يذهبون إليها سيراً على الأقدام , أو على الدراجات , وغالباً لا يستمرون فى الدراسة . , أو ينتهى تعليمهم عند هذا الحد ... هؤلاء هم طبقة " الأفندية " الذين ينظر إليهم أهل القرية باحترام شديد , ويلجأون إليهم فى ما يعن لهم من أمور تحتاج إلى الكتابة أو التدوين .

كما أن المذياع لم يكن منتشراً بالقرية , فقد كان فى أوائل ظهوره , كما أنها لا تعرف شيئاً عن وسائل الإعلام المكتوبة من صحف ومجلات , فنادراً ما تصلها الصحف مع الزائرين للقرية من المدن .

والفتيات ليس لديهن أدنى فرصة للتعليم , فإن أباءهن لا يحبذون ذهابهن إلى المدرسة , ويعتبرون أن ذلك يفتح الباب لفساد البنات , فمكانهن فى المنزل مع الأم , أو فى الحقل مع الأب . وعمدة القرية لدية كشوف باسماء المواليد , فاذا أرسل رسولاً منه يطلب من الأباء أن يرسلوا بناتهم إلى المدرسة , فانهم يدعون وفاتهن , وقد يقدمون رشوة للعمدة حتى يتغاضى عن طلب بناتهم للدراسة , وحتى يعفيهم من الغرامة التى يدعى أنها سوف توقع عليهم , إذا لم يرسلوا البنات للمدرسة .

فى هذا الجو الجاهلى عاشت القرية , بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها .. وحقاً أن للقرية عادات وتقاليد بالية جاهلة , فرضها الجهل والتخلف إلا أن لها تقاليدها وأعرافها التى تنم عن

الأصالة والمروءة , وشهامة أهل الريف , والقيم الانسانية النبيلة المتأصلة فيهم من قديم الأزل , والتى ورثوها جيلاً بعد جيل .

ولما كانت القرية مجتمعاً صغيراً , فان أهلها تحكمهم تلك العادات بشدة , سواء كانت المتخلفة أو الكريمة , فالقرية فى مجملها لا تتعدى بضعة آلاف من البشر, يعدون على أصابع اليد الواحدة , مما يجعل أهلها جميعهم يعرفون بعضهم البعض , ومما يجعل الجريمة شيئا منكراً , والفعل السئ مغضوباً عليه .

والعمده هو الرجل الأول فى القرية , الذى يهابه الجميع , ويخضعون لأمره . ثم يليه فى الاهمية شيخ البلد وشيخ الغفر والغفراء , أما ذوى الشأن فهم مأ ذون القرية , والمدرس الابتدائى , وخطيب الجمعة , ومن يقيم شعائر الصلاة , واصحاب المهن التى ينظر اليها الفلاحون نظرة اكبار فهم الجزار والحلاق والبدال , فهى مهن لا تشقى صاحبها بدنياً , وانما تجعله يحيا بشئ من الرخاء إذا ما ماقورن بباقى أهل القرية .

الفصل الاول

فانوس زجاجى به " لمبة غاز نمرة خمسة " يتدلى أمام منزل ريفى , تحته مصطبة مستطيلة أمام عتبة الدار , والوقت بعد صلاة العشاء .. جلس الرجال الثلاث على المصطبة , الشيخ صالح صاحب الدار والحاج رجب وابنه محمود ضيفاً الشيخ صالح . قال رجب .

- أنت تعلم أن بيننا صداقة بلغت حد الأخوة , وجعلت من إبنى محمود أبناً لك ومن إبنتك نعايم إبنة لى

قال صالح :

- أعلم هذا , وأعلم أيضاً ما ترمى اليه بكلامك هذا

- وما رايك يا صالح ؟

- انت تعلم انى قدعاهدت المرحوم أخى على زواج ابنتى نعايم من ابنه مصباح منذ أن كانا صغيرين يلهوان .

- وهل هذا معقول ؟ تربطان طفلين صغيرين بعهد الزواج وهما طفلان صغيران لا يعيان من أمور الدنيا شيئاً ؟

- إن مصباح ليس له الآن سواى بعد وفاة أبيه وأمه , وأنا ألآن عمه وأبوه , فهل يرضيك أن أتخلى عن وعدى ؟ وماذا يكون من شأنى تجاه ابن اخى؟ كيف أوجه وجهى وجهه ؟

نهض الحاج رجب واقفاً وقال مخاطباً أبنه :

- لا فائدة من الكلام . هيا بنا يا بنى

قال محمود وهو يهم بالوقوف .

- هل يسمح لى عمى صالح بسؤال ؟

- قل يا محمود .

- هل اخذت رأى نعايم فى مصباح ؟

- وهل هذا سؤال يا محمود ؟ منذ متى والفتيات لهن رأى ؟ الأمر أمرى والقرار قرارى , ومصباح ابن عمها وأحق بها من أى رجل اخر .

قال رجب :

- قلت لك يا ولدى لا فائدة من الكلام . هيا بنا

انصرف الرجلان يعلو وجهيهما الوجوم

فى داخل الدار كانت نعايم وأمها تسترقان السمع وتتابعان حوار الرجال . ارتمت نعايم فى حضن أمها باكية ,

وامهـا تربـت عليهـا مواسـية قائلـة :

- صـبراً يـا ابنتـى , فـان فرج الله قريـب , لعل والدك يعـدل عن عناده

ظـل الشـيخ صـالح فـى مكانـه لا يبـدى حـرا كا, خرجـت اليـه زوجتـه " روحيـة " وجلسـت بجـواره وقالـت لـه :

- ان نعايـم تتمتـع بجمـال فائـق , ومصبـاح مسـخ بشـرى لاترضـى بـه أقبـح بنـات القريـة

- قلـت لـك إنـه ابـن عمهـا . والرجـل لا يعيبـه شـكله , وإنمـا يعيبـه طبعـه وخلقـه, ومصبـاح ميسـور الحـال وعلـى خلق سـوى .

- لا انكر ذلك , ولكنه دميم الشكل

- يكفى إنه رجل

- إنها وحيدتنا يا صالح , وكل ما يهمنا هو ان تكون سعيدة

- صدقينى يا قليلة العقل انها سوف تكون سعيدة مع مصباح

- كيف ذلك وهى لا تطيقه ؟

- ان العشـرة تذيـب الفـوارق , وسـوف تأنـس مصبـاح بعـد ذلـك وسـوف يشـملها بالرعايـة وحسـن المعاملـة

- شئ بعيد المنال

- هل سمعت عن فتاة تزوجت برجل تعرفه وتألفه قبل الزواج ؟

- ولكن أهل الفتاة يختارون لها الزوج المناسب

- وأنا اخترت مصباح .. كفى عن المجادلة ولا تعيديها

قطبت الأم حاجبيها يائسة , وأيقنت أنه لا فائدة من كلامها مع زوجها . وانحدرت دمعة على خديها ونهضت قائمة , ودخلت الدار , وقام صالح على إثرها داخلاً الإ أنه ما كاد يغلق الباب حتى سمع طرقاً على الباب . قال صالح

- من الطارق ؟

اجاب الطارق : انا مصباح

فتح صالح الباب .. وسلم على مصباح , وجلسا على المصطبة , كان مصباح فى نحو الخامسة والعشرين من عمره , ومتوسط الطول , ممتلئ الجسم , مستدير الوجه , جاحظ العينين , تتدلى شفته السفلى , غليظ الصوت قال مصباح .

- قابلت الحاج رجب وابنه محمود قريباً من هنا , ويبدو أنهما كانا عندك

- أجل يا مصباح , وقد كلمانى فى شأن نعايم , فأخبرتهما انها مخطوبة لك

- شكراً يا عمى

صاح صالح مخاطباً نعايم :

- أعدى لنا براداً من الشاى يا نعايم

قامت نعايم مكرهة لتعد الشاى , الإ أنها سمعت مصباح يخاطب عمه .

- لا داعى يا عمى , فأنا فى عجلة من أمرى ... فقط أردت أن اهديك تحية المساء وأنا مار أمام منزلكم . هل لك فى أمرأ قضيه لك ؟

- شكراً يا بنى

انصرف مصباح واقفل صالح الباب بالمزلاج, ودخل الدار فوجد ابنته مكومة فى ركن من الأركان , وقد وضعت رأسها فى حجرها , قال لها .

- لماذا انت هكذا ؟

رفعت نعايم رأسها فى ذل وانكسار ولم تجب, أردف هو قائلاً :

- الاتريدين مصباح زوجاً لك ؟

صمتت الفتاة ولم ترد وأجابت الأم .

- أجل ياصالح , إنها لا تريده

وجه صالح كلامه الى ابنته :

- إنه ابن عمك وأحق بك من الغريب , وكان الأولى بك أن تفضيله عن غيره , كما أنه ميسور الحال ولن يهينك لأنى عمه , وستجدين معه راحتك وسعادتك .

قالت نعايم فى خشية من أبيها :

- ولكنه قبيح الشكل يا أبى

- أليس رجلاً ؟ إنه ككل الرجال , ولا يعيب الشكل رجلاً , وإنما يعيبه طبعه ' ومصباح كما تعلمين مؤدب وعلى خلق

- لست أنكر يا أبى ولكنى لا أستطيع أن أقبله شكلاً

- إن العشرة سوف تجعلك تتقبلينه , وتعتادين عليه وتألفيه ولا أريد الخوض فى هذا الحديث مرة أخرى .

ثم دخل صالح حجرته لينام , بينما احتضنت الأم ابنتها مواسية

★★★

جلست نعايم مع صديقتها سعدية , تبثها همومها ... سعدية هى صديقتها المخلصة التى تجد فيها متنفساً لأحزانها ومستودعاً لأسرارها . قالت نعايم :

- أكاد أجن ياسعدية , فان الأيام تسرع الخطى , ويقترب ميعاد الزفاف

- قلبى معك يا أختاه .. أنا لا أعرف كيف يفكر ابوك . هل هذا معقول ؟

- حجته ان مصباح أبن عمى , وأولى بى من الغريب , ومفروض على أن أقبله وأفضله عن غيره بحكم صلة الدم , مهما كان شكله

- ولكنك ابنته الوحيدة , وكان يجب أن ينتقى لك الرجل المناسب

- هذا رأيه . ماذا افعل ياسعدية ؟ بالله عليك دلينى ما هو الحل ؟

- لا أرى يا أختاه الا ان تتقبلى نصيبك , فأنا اذا نصحتك بالرفض فإن الرفض لن يجد شيئاً , كما أن مصباح ميسور الحال وعلى خلق

- وهل أفقد محمود ؟

- خير لك ان تقبلى واقعك وترضى به

- انت تعلمين مدى الحب الذى يربطنى بمحمود , وليس من اليسيرأن أقبل زوجاً غيره

- ليس هناك حل اخر , فأنت تعلمين اننا معشر فتيات الريف لا نملك من أمرنا شيئاً , وإنما يقودنا اهلونا قيادة البهائم , وليس لنا إلا ان نطيع كما تطيع الحيوانات أصحابها .

- ألسنا بشراً ؟

- يلى , ولكننا عبيد أهلنا

فى ظهيرة معظم الأيام , تعد أم نعايم الغذاء لزوجها صالح ومن يكتريه ليعمل معه فى الحقل وتضعه ام نعايم فى " المشنة " حيث تحملها نعايم وتذهب بها الى الحقل , وكان يبعد عن المنزل مسافة كبيرة .. تسير نعايم فى طريق ترابى مسافة كبيرة ثم تقطع الطريق ترعة واسعة تصطف على جانبيها اشجار الصفصاف الضخمة , حيث تتدلى فروعها تكاد تصل ماء الترعة , واحدى هذه الاشجار بجوار ساقية تتدلى فروعها بكثافة مكونة ما يشبه العش حيث كان محمود ينتظر فيه نعايم عند عودتها وعندما يراها ذاهبة الى أبيها حاملة المشنة ينهى ما بيده من عمل , حتى اذا ما لمحها عائدة عن بعد تسلل الى العش وانتظر حضورها .

ما ان تصل نعايم الى الحقل حتى تضع المشنة على الارض تحت شجرة التوت الضخمة , فيحضر ابوها ومن معه ويجلسون تحت الشجرة , وتفرغ نعايم ما بالمشنة من طعام , ويبدأ أبوها ومن معه فى تناول الغذاء , بينما هى تعد " الكانون " وذلك بوضع بعض قوالب الطوب اللبن على هيئة مربع ينقصه ضلع وتضع فيه بعض الأخشاب وقوالح الذرة الجافة , وتشعل فيها النار , فاذا ما أشتعلت النار فى الكانون

, وضعت كوباً كبيراً مملوءاً بالماء والشاى على النار , حتى اذا ما فرغ الاكلون من طعامهم يكون الشاى قد تم نضجه , فتصبه فى أكواب من الصاج وتناول كلاً منهم كوباً , فاذ ما اتموا شرابهم ومأكلهم قامت بجمع الاطباق والاكواب وغسلتها من طلمبة بجوار الشجرة ووضعتها فى المشنة وحملتها على رأسها وأنصرفت عائدة من حيث أتت .

وعندما تصل الى مكان التلاقى , وفى داخل العش حيث ينتظرها محمود تلقى عليه التحية وتجلس بجواره , بعد أن تضع المشنة على الارض . قال محمود :

- ما العمل يا نعايم ؟ إن اباك مصر على زواجك من مصباح
- ماذا أفعل يا محمود ؟ أنا أكاد أفقد عقلى
- ارفضى هذه الزيجة
- رفضت وبإصرار , الإ أن أبى لم يغير رأيه . دلنى ماذا افعل ؟
- فى الحقيقة يا نعايم أن الأمر يحيرنى
- أنا بين نارين لا أريد الزواج من مصباح , ولا أستطيع مخالفة أبى والخروج عن طوعه
- وماذا يكون الأمر ؟ هلى أفقدك ؟

- انت تعلم مدى حبى لك , وأن حبك يسرى فى دمى , ولكن ماذا أفعل وأنا كالطائر المكسور الجناح وغير قادر على الطيران ؟

- لو كان الامر بيدى لأ ذبتك فى كوب من الماء وشربتك حتى تصيرى كلك فى دمى ولا يستطيع أحد انتزاعك منى

- يفعل الله ما يشاء

- أبوك لن يغير رأيه ولو انطبقت السماء على الأرض , هذا واضح من أخر لقاء به

- نرضى بقضاء الله

- وأفقدك ؟

- لو كان الهروب يسيراً لهربنا وتزوجنا , ولكن هذا الأمر يجلب العار لنا ولاهلنا مدى الدهر كما أن فيه هلاكنا كما أن هذا الامر لا نرضاه لنفسينا

- طبعاً يا نعايم أنا لا أرضى أمراً يشين سمعتك

- دع الأمر لله .. هيا بنا فقد تأخرت عن ميعاد رجوعى

★★★

عندما عادت نعايم كانت امها قد أعدت طعام الغذاء ودعتها لتناوله , أجابت نعايم بأنه لا رغبة لها فى الطعام . قالت أمها

- يـا ابنتـى إن عـدم تناولـك الطعـام لـن يغـير مـن الأمـر شـيئا , وخـير لكـى أن تتنـاولى طعامـك حتـى لا تفقـدى حياتـك

- ليتنى يا أمى أفقد حياتى وأستريح من هذا العذاب

قالت الأم منزعجة :

- لا يـا ابنتـى , أبعـد الله عنـك الشـر .. الصـبر يـا ابنتـى أوصيـك بـه , ولـكل شـئ نهايـة .

- أنا أعرف نهايته يا أمى .. نهايته أن أكون زوجة لمصباح

قالت الأم محاولة التخفيف عن ابنتها

- فى النهاية كلهم رجال ومتساوون

- لا يا امى إن العسل غير البصل وكلاهما طعام

- نرضى بقضاء الله ويفعل الله ما يشاء

- له الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثانى

يجتمع الفلاحون كل ليلة فى سامر , يتسامرون ما شاء لهم السمر , وكل جهة فى القرية لها سامرها فهذا سامر الشمال وذاك سامر الجنوب وهكذا وكل سامر له رواده ومتحدثوه , ويتميز كل سامر عن غيره بقدرة محدثه وبلاغته ووفرة حكاويه . كما يختص أحد الأشخاص بعمل الشاى وآخر بتوزيعه على الحاضرين فى أكواب من الصاج حيث لا مقاه فى القرية ولهذا يتشاركون فى جمع مقدار من المال يشترون به الشاى والسكر الذى يشربونه .

وفى سامر الشمال كان مصباح يختلف اليه ضمن رواده حيث يشاركهم شرب الشاى وسماع الحكاوى .

سأله جاره فى السامر :

- متى الدخلة يا مصباح ؟

رد عليه مصباح

- عندما يحدد عمى ميعادها

- وأنت .. اليس لك رأى ؟

- الرأى رأى عمى

- هل لعمك كل الرأى فى شئونك ؟

- أجل فهو عمى وأبى الذى فقدته .

- لك حق , وكل الحق , فأنت وارثه

- ليس هذا هو السبب , فأنا فى غنى عما يملكه

- ولكنه أراد بزواجك من ابنته أن يجمع ارضك مع أرضه

- قد يكون هذا صحيحاً

- بل هو رأيه

- أيا كان رأيه فانا أطيعه

- يا لك من بار بعمك

- وياله من عم صادق فى حب ابن أخيه

كان مصباح – رغم دمامته – متمتعاً بقلب طيب وسعة فى الأفق , وكان معروفاً عنه أنه لا يقبل الأمر الخطأ ولا يستسيغ الخزعبلات التى يسمعها من الراوين

عجيب أمر مصباح , فعلى قدر ما ابتلى به من قبح فى الشكل حباه الله رجاحة عقل , فكأن الله عوضه عن قبح شكله سعة فى أفقه مع أنه لا يملك قدراً من التعليم

قال أحد الحاضرين وهو شيخ كبير

- انصتوا لنسمع الراوى , وليكن حديثه اليوم عن أولياء الله الصالحين والذين لهم اضرحة بالقرية , فنحن فى شوق لنعرف سيرتهم .

بدأ الراوى يحكى :

- سوف أقص عليكم قصص أولياء الله الصالحين الذين اقيمت لهم أضرحة احتراماً لهم واعترافاً بكرا ماتهم

قال أحد الحاضرين

- اتحفنا فنحن فى لهفة وشوق

قال الراوى

- كان " سيدى حسان " يقود حصانه , وتعرض الحصان لحادث بترفيه ذيله , فما كان من " سيدى حسان " الإ أن تناول الذيل ويصق عليه , ووضعه فى مكانه من الحصان فالتأم الذيل

صاح الحاضرون

- الله اكبر

تململ مصباح فى مجلسه غير مصدق لما قاله الراوى ، ومال على جاره وسأله هامساً : هل تصدق هذا الكلام ؟

رد جاره

- إنها كرامات أولياء الله الصالحين

سكت مصباح على مضض . استطرد الراوى .

- اما " سيدى سعيد " فكان عبداً عند آل عطاء الله يقوم على خدمة ما شيتهم والذهاب بها إلى الحقل والعودة . بها عند غروب الشمس

وفى أحد الأعوام كان سيده وسيدته فى حج لبيت الله الحرام ، وهناك تاقت نفساهما الى " صينية فتة " وطبق من الملوخية الخضراء .. وبعد فترة وجدا أمامهما صينية الفتة وطبق الملوخية " اما كيف وضعا امامهما فهما لا يعرفان

صاح الحاضرون

- الله اكبر .. كيف حدث هذا

- الذى حدث يا إخوانى أ ن سيدى سعيد سمع كلامهما .. عندئذ قاطعه مصباح .

- إنهما فى السعودية وسيدى سعيد فى مصر . كيف سمع كلامهما

قال الراوى

- إنها يا بنى كرامة الأولياء

قال بعض الحاضرين

- اسكت يا مصباح , فأنت لا تعرف كرامة أولياء الله الصالحين

سكت مصباح متبرماً بينما استطرد الراوى

- عندما سمع كلامهما كان فى الحقل , ذهب إلى أهل المنزل وأدعى أنه فوجئ بضيوف من أهله حلوا عليه , وطلبوا منه أن يطعمهم صينية فتة وطبقاً من الملوخية . فقام أهل المنزل بعمل ما طلبه وأعطوه إياه .. وقد أرسل سيدى سعيد الصينة والطبق إلى سيده وسيدته فى السعودية وعاد دون أن يراه أحد

هلل الحاضرين وكبروا .. ازداد تململ مصباح فى جلسته غير أن جاره لكزه خفيفاً حتى لا يتكلم اعتراضاً على قول الراوى

قال أحد الحاضرين

زدنا فتح الله عليك

استطرد الراوى : عند ما كان يسأله أهل الدار عن الصينية والطبق كان يقول أنه سوف يحضرهما لهن . ومرت الأيام وعاد سيده وسيدته من حجهما . وكان معهما الطبق والصينية , مما أصاب أهل الدار بالدهشة والذهول , فقد عرف الجميع

كرامة سيدى سعيد مما جعلهم يقفون على خدمته وبعد وفاته أقاموا له ضريحه المعروف لكم

واستطرد الراوى

- اما حكاية " سيدى يس أبو رمانة " فهى تريكم لماذا أطلقوا عليه أبا رمانة , فقد كان جالساً وسط أحبائه ومريديه ومد يده وقطف رمانة من الجنة .

وهنا أنتفض مصباح واقفا وقال

- هذا هراء.. كيف يستطيع بشر أن يمد يده ليطول الجنة ويقطف منها رمانة ؟ إنه حدث لم يحدث لنبى , فكيف يحدث لبشر مهما علا قدره ؟

سرت همهما بين الحاضرين , ولم يستطع أحد أن يعلق على كلام مصباح , فقد وجدوا فيه عين العقل

وأنسحب مصباح تاركاً السامر , ولحق به أحد اصدقائه وقال له

- لماذا تركت السامر يا مصباح ؟

- لا أطيق أن أسمع هذه الخزعبلات فلسنا إلى هذه الدرجة من البلاهة .. كان خيراً له أن يحكى سيرة ابى زيد الهلالى أو عنترة بن شداد أو غيرها من القصص والأساطير التى نقبلها

علـى علتهـا ونعلـم أنهـا أسـاطير

- يا لك من ذكى رغم شكلك القبيح
- ليـس ذكاء يـا أخـى , لكـن الـذى يملـك قليـلاً مـن العقـل لا يقبـل مثـل هـذه الخرافـات

★★★

يأتـى الشـيخ محمـدى مرتـين عصـراً كل اسـبوع , ليقـرأ القرأن . الكريـم فـى منـزل صـالح , تسـحبه ابنتـه التـى تبلـغ من العمـر مالا يزيـد عـن السـتة عشـر عاماً .. كلاهمـا أميل إلى الدمامة . اما الشـيخ محمـدى فأسمـر اللـون قصير القامة ويميـل إلى البدانة , وابنته كالحة السـواد وأميـل الى النحافـة وليـس لهـا مـن مظاهـر الأنثـى شـئ .

واذا امعنـت النظـر إليهمـا , وجـدت أن الشـيخ محمـدى كفيـف البصـر , رغـم ان عينيـه مفتوحتـان , وابنتـه شـبه كفيفـة , وكأن عينيهـا مـن الزجـاج .. وتـرى البـؤس يغلـف الفتـاة , وهـى صامتـة دائمـاً , نـادرة الحديـث , تتأبـط نصـف سـجادة صـلاة , حتـى إذا مـا هـم أبوهـا بالجلـوس فـى المـكان المعتـاد مـن المنـزل , اسـرعت وفرشـت نصـف السـجادة , حتـى إذا مـا فـرغ ابوهـا مـن التـلاوة قامـت مسـرعة تطـوى السـجادة , وتضعهـا تحـت إبطهـا وتسـحب أباهـا خارجـين ... إنهـا تفعـل ذلـك بطريقـة آليـة .

جلست نعايم وامها أمام الشيخ محمدى . وهو يتلو القرآن الكريم , ولما فرغ من التلاوة سألته ام نعايم:

- يا شيخنا , هل تجبر الفتاة على زواج لا تريده ؟

ادرك الشيخ ما ترمى إليه أم نعايم , فقد كان خبر زواج نعايم من مصباح وعدم رضاها عن هذا الزواج حديث القرية , فلو أجابها بعدم الجواز قد يعلم زوجها بفتواه فيمنعه من الحضور الى المنزل بعد ذلك , فحاول التخلص من الاجابة قائلاً :

- أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم

- ولكن الله ورسوله لا يقبلان الظلم يا شيخنا

اردف الشيخ محمدى قائلاً :

- ولا تقل لها اف ...

ادركت أم نعايم أنه لا يريد أن يفصح عن رأيه خوفاً من زوجها , وأدركت ايضاً أنه خشى أن تجعله وسيطا يقنع زوجها بخطأ تمسكه بزواج ابنته بمن لا تريده , ولهذا آثر البعد عن المشاكل .

والفلاحون ينظرون الى مثل هؤلاء الناس على انهم ففقهاء فى الدين , ويأخذون رأيهم حجة , ودليلا , مع ان رأيهم قد يكون صوابا وقد تكون خطأ ...

كانتا كالغريق الذى يبحث عن قشة قد تنجيه, مع علمه انها لا تفيد

★★★

جلست نعايم مع محمود فى عشهما تحت الصفصافة . قالت نعايم

- ان الوقت يجرى مسرعاً يا محمود , واقترب ميعاد الزفاف ما الحل دلنى ارجوك ؟

- لا أدرى , ولا أرى بارقة أمل ... انى مكبل اليدين ازاء اصرار ابيك على زواجك من مصباح

- قد لا القاك ثانية , افعل شيئاً , فقد اصبح الزواج واقعا لا محالة

- دلينى ماذ افعل ولن اتردد عن فعل ما تأمرين

اطرقت نعايم قليلاً ثم قالت :

- حقيقة لا يوجد حل , ويبدو أن الله لا يريد أن يجمعنا

- إن الذى يريد ألا يجمعنا هو أبوك

- آه يا محمود .. اليأس يقتلنى

- وهل تظنين أن اليأس لا يقتلنى أنا ايضاً ؟ انا اتعذب ضعف عذابك .

قامت نعايم والدمع يبلل وجهها وقالت :

- وداعاً يا محمود

- لا تقولى وداعاً فإن روحينا لا يمكن أن تفترقا ... قد يفترق جسدانا ولكن روحينا متحدتان الى الابد , مهما قست عليهما الاقدار .

انصرفت نعايم الى دراها حزينة كاسفة البال , وجدت سعدية فى انتظارها . نظرت اليها سعدية ولمحت اثر الدمع فى عينيها . قالت لها :

- ما بك يا نعايم ؟

- اتسألينى ما بى ؟ إنك تعلمين ما أعانى

- سلمى أمرك إلى الله , وأرض بما قسمه لك حتى تستريحى وتهدأ نفسك .

- أنا راضية , ولكن غصباً وكرهاً , وليس طواعية .

- اننا لا نملك من امرنا شيئاً , والامر امر اهلنا ولا نملك الا ان نطيعهم ولا نعصاهم .. لهم الأمر وعلينا الطاعة .

- السنا بشراً ؟ الا نحس و نشعر كما يحس الرجال ويشعرون ؟

- هل لك أن تفعلى شيئاً ؟

- لا استطيع .. لست بقادرة

- إذن فهذه حياتنا ولا بد أن تقبليها كما يريد أهلنا , وخير لك أن تطوعى نفسك على حياتك مع مصباح .

- ومحمود ؟

- ليس من نصيبك يا نعايم . أرض بقضاء الله

- ليس هذا قضاء الله يا سعدية . انه قضاء ابى

- الأمر سيان ويجب ان تقبليه .

★★★

بدأ الاستعداد للزواج , فقددنا موعد الزفاف . اشترى صالح ما يلزم شراءه من جهاز العروس , واشترت لها امها ما يلزمها من امورها , وجاءت " أم زغلول الخياطة " لتتفقد الأقمشة التى اشترتها أمها , وقامت بقياس أجزاء جسد نعايم .. ونعايم واجمة وكارهة , ووضعت الاقمشة فى " سبت كبير " وحملته على رأسها وانصرفت لتقوم بحياكة الملابس وأعادتها لنعايم قبل موعد الزفاف . أما مصباح فقد ذهب إلى " الاسطى جاد الجزمجى " واشترى نعلاً جديداً , ثم ذهب الى " الاسطى ابراهيم الخياط " حاملاً معه ما اشتراه من اقمشة ليحيك له جلبابين وقميصين وصديريين

اقترب موعد الزفاف واذا باتراب نعايم يجتمعن كل ليلة بعد العشاء أمام منزلها , يغنين ويقرعن الطبل وهن ملتفات حولها وبجوارها سعدية وهى تشعر بما يعتمل فى صدرها من هم , بينما هى شاردة الذهن , كاسفة البال , والفتيات ما ضيات فى الرقص والغناء على انغام الطبلة , اغنيات الافراح الشائعة او ما تجود به قرائحهن فى مثل هذه المناسبات ..

بعد فترة تنصرف الفتيات , وتخلو نعايم الى نفسها , تبكى فى صمت , والنار تأكل جسدها , وعقلها يكاد يشت , فهى لا تجد منفذاً للخروج من محنتها اما أمها فهى تشعر بما تعانيه ابنتها , ولكنهما لا تملكان من أمرهما شيئاً , فالرجل هو كل شئ فى مثل هذه المجتمعات , وأمره نافذ ورايه قاطع , ولا تملك الزوجة او الابنة من أمرهما شيئاً او حق الاعتراض ... هكذا جرى عرفهم وتقاليدهم .. حتى أن ابناء هم , هم الذين يختارون لهم زوجاتهم الإ قليلاً منهم .

لم يبق على موعد الزفاف الا اياماً قلائل , ولذا جاء " المنجد " وفرش حصيراً امام منزل صالح وافرغ أكياس القطن , وقام بصنع مرتبتين ولحافين واربعة وسائد .

مر محمود على المنجد وهو يقوم بعمله فإنقبض قلبه , وأدرك أن ميعاد زفاف نعايم على مصباح قد أصبح وشيكاً

وبالمقابل فإن اصدقاء مصباح بدأو يجتمعون كل ليلة امام منزله للسمر وترديد الأغانى ابتهاجاً بزواجه .. فمصباح رغم دمادمته محبوب من أصدقائه , فهو كريم ودود , ويقوم بمجاملتهم فى مناسباتهم ولهذا فهم يجتمعون لديه كل ليلة امام منزله وقد افترشوا الحصير تحت أنوار " كلوب " مثبت فى وتد فى حائط المنزل

ازف موعد الزفاف , حضرت عربات " الكارو " لتحمل جهاز العروس من منزل أبيها إلى منزل زوجها .. سارت العربات فى صف يتقدمه الرجال والشباب .. تحمل العربة الاولى الدولاب والثانية تحمل السرير النحاس الاسود , والكنبة الخشب اما الثالثة فتحمل المرتبتين واللحافين والوسائد وتحمل الرابعة الاوانى النحاسية وادوات الطبخ .. والفتيات يسرن خلف العربات حاملات على رؤسهن الاسبتة التى تحوى ما بقى من ملابس وأشياء اخرى .. يزغردن ويغنين.

وصل الركب منزل مصباح , قام الشباب والفتيات بإفراغ حمولة العربات , وقامت أم العروس وصديقاتها بترتيب منزل الزوجية , بينما جلس الرجال امام المنزل يتناولون اكواب الشربات .

وفى ليلة الحنة جلست نعايم على حصير وسط الدار , وقد أسندت ظهرها إلى الحائط , ومدت ساقيها , وجاءت " أم سلامة

" وهى السيدة المتخصصة فى عمل الحناء , وتحنية العرائس , ووضعت وسادة تحت ساقى نعايم لترفعهما عن الأرض , وقامت بتحنية العروس , الكفين والقدمين بينما قامت ابنتها " سيدة " بجمع " النقوط " وهى تهلل " شوبش يا أهل العروس و يا اهل العريس "

اما مصباح فقد جلس هو الاخر وقد أسند ظهره الى الحائط ومد ساقية , ووضع " الاسطى عبدالحليم الحلاق " وسادة تحت ساقيه وقام بتحنية قدميه وكفيه , بينما ابنه شحاته يجمع " النقوط " وهو يصيح ويجلجل " شوبش يا أهل العريس , ويا احباب العريس ويا أصحاب العريس ... " هكذا ظل يعد كل من له صلة بالعريس واقاربه ليعطيه المدعوون " النقطة " فيدسها فى جيبه

وكانت الليلة التالية هى ليلة الدخلة حيث ارتدى مصباح جلباباً جديداً تحته قميص وصدريرى جديدين , وسار بصحبة بعض الشباب إلى بيت عمه , وما ان وصل حتى صاحت الفتيات " العريس وصل " بينما انقبض قلب نعايم

دخل مصباح منزل عمه حيث كانت نعايم جالسة على كرسى خشبى والفتيات يحطنها , وهن يزغردن ويغنين ويصفقن .. توجه الى نعايم وتناول يدها .. كان المفروض ان تمد هى

يدها ليتناولها , ولكن يدها لم تطاوعها .. قامت معه متثاقلة وخرجت من الدار وسط صاحباتها من البنات واصحابه من الشباب , وسار الركب تجاه منزل مصباح , بينما كان رجلان يحملان عمودين من الخشب يتصلان ببعضهما بلوح خشبى متين يتوسطه " كلوب " يتدلى فوق مصباح وعروسه .

كانت الفتاة سعدية تحمل صينية صغيرة عليها " حلة " بها عشاء العروسين , وهو عبارة عن دجاجة محمرة بالسمن وزوج من الحمام المحشى وقليل من الأرز

كان بعض الشباب يتندرون على مصباح الذى يسير بجوار أجمل بنات القرية , وهو اقبح الفتيان شكلاً , وكان كثير منهم يحسدونه على زواجه من نعايم , اما الفتيات فكن يضحكن ساخرات تملؤهن الحسرة على نصيب نعايم من الزواج .

وصل الركب الى منزل مصباح , وتوقف الجميع ... دخل مصباح داره ممسكاً بيد نعايم , وقد دخلت معها أمها وقلة من النسوة , وسعدية حاملة " صينية العشاء " بينما توقف الباقون امام المنزل يتناولون اكواب الشربات .خرجت ام نعايم تحمل المحارم وهى ملطخة بالدم مما يعنى ان ابنتها عفيفة شريفة لم يمسسها رجل فإذا بالفتيات يزغردن ويغنين

- انظرو دم الفلاحة احمر مثل التفاحة

وانصرفن متوجهات الى منزل صالح . بعد برهة قال الأب :

- نشاطركم افراحكم ونشكر لكم مشاركتكم لنا .

وبدأ يصافح المدعوين كان هذا إيذاناً بأنتهاء العرس . انصرف المدعوون . انزلت سعدية صنية العشاء وقال الاب مخاطباً زوجته وسعدية

- هيا بنا نترك العروسين حتى يستريحا

احتضنت سعدية نعايم وقبلتها وهى تبكى .. لم يكن بكاؤها فرحاً بزواج نعايم , وانما كان حزنا عليها , فهى تعلم مدى حبها لمحمود, وما تعانيه جراء هذا الحب , وحرمانها منه وانصرف الاب صاحباً زوجته وسعدية . قال الاب موجهاً كلامه لسعدية وهما فى الطريق عائدين :

- شكراً لك يا ابنتى , ان شاء الله سوف نرد لك الجميل يوم زواجك

قالت سعدية

- نعايم اختى وليست صديقتى

عندما عاد صالح وزوجته وسعدية إلى المنزل وجدوا الفتيات امام المنزل وهن يلوحن بالمحارم يمينا وشمالاً ثم اعطين

المحـارم لام نعايـم وانصرفـن .

عـود الى محمـود , فقـد بـات ليلتـه فـى عـذاب يؤرقـه وعندمـا ابصـر نعايـم بصحبـة مصبـاح وهـى ذاهبـة الى منـزل زوجهـا لم يحتمـل المشـهد , فانفجـر باكيـاً ودخـل داره وارتمـى فـى فراشـه , يتقلـب كمـا لـو كان فـى الجحيـم .

صـارت نعايـم وحيـدة مـع مصبـاح , نظـر إليهـا فوجدهـا باكيـة قـال لهـا :

- لقد ملأت البيت نوراً فما يبكيك ؟

صمتـت نعايـم ولم تـرد .. قـال مصبـاح وقـد ظـن إنهـا تبكـى لفـراق اهلهـا

- كل فتـاة مصيرهـا مفارقـة أهلهـا إلى بيـت زوجهـا , وهـذا الشـعور الـذى تحسـيه هـو شـعور كل فتـاة فـى أول ايـام زواجهـا ولكـن اعلمـى انـك أبنـة عمـى قبـل أن تكونـى زوجتـى , وراحتـك وسـعادتك هـى كل مـا يهمنـى ولـن تجـدى منـى الإ كل خـير

تأثرت نعايم بقول مصباح .. قالت

- انـك طيـب القلـب يـا مصبـاح وعلـى خلـق واصبحـت انـا الان زوجتـك لـك الأمـر وعلـى الطاعـة .

- انا اعلم تماما ان شكلى قبيح , ولكن ما ذنبى فى هذا ؟ أن الله هو الذى خلقنى هكذا , وانا شاكر لربى وراض بذلك أما قلبى فهو طيب ويملؤه حب الناس ... هكذا عوضنى الله بقلبى عن شكلى الدميم فالانسان لا يملك كل شئ .. كان يمكن أن اكون وسيماً وذو علة ولكنى والحمد الله سليم البدن وذو قوة .. دعينا من هذا وهيا بنا لنتناول عشاء نا

- ليست لى رغبة فى الطعام

- انك لم تتناولى طعاما طوال اليوم , هكذا مؤكد , وأنا لن أكل الا إذا اكلت معى .. هل يرضيكى جوعى ؟

لم ترد نعايم وإنما اقبلت على الطعام فى تثاقل

★★★

فى الصباح كانت نعايم سيدة المنزل , وزوجة شرعية لمصباح وكان سعيداً رغم مالاحظه من سحابة حزن على وجه زوجته ولكنه أقنع نفسه انها حزينة لفراق اهلها .

ارتدى مصباح جلباباً جديداً تحتة القميص الجديد والصديرى الجديد ووضع على كتفيه " لاسة " حرير بيضاء وذهب إلى منزل عمه ليقدم التحية لحميه وحماته , كعادة اهل القرية ثم عاد إلى منزله

كان فى سيره ذهابا وايابا يقابله من يقابله من أهل القرية فيهنئونه بالزواج , بعضهم جاد فى التهنئة وبعضهم ساخر .. ولما كان وقت الضحى , حضرت صاحبات نعايم للتهنئة .. قابلتهن بوجه جامد لا ينم عن فرح او حزن وتضاحكت الفتيات محاولات التسرية عنها وكانت اكثرهن مداعبة لها هى سعدية صاحبتها المفضلة ... وبعد قليل حضر والد نعايم ووالدتها , فانصرفت الفتيات حتى تختلى الام بإبنتها , وجلس مصباح مع عمه فى مدخل الدار . بينما الام وابنتها داخل الدار .

قالت الام :

- كيف حالك يا ابنتى ؟

- كما ترين يا امى وانا راضية بقدرى ونصيبى كل ما أرجوه أن يعيننى الله على ما أنا فيه

- حسناً قلت يا ابنتى , هذا قدرك ونصيبك , فأرض واحمد الله , والزمن يفعل بالانسان ما يشاء

- لا يا امى ليس هذا قدرى و نصيبى ولكنها إرادة ابى وعلى أن أقبلها ... " ثم اردفت قائلة

- " وقد قبلتها "

كانت سعدية هى صديقة نعايم الصدوقة و كانت نعايم تبوح لها بمكنونات قلبها وكانت سعدية تواسيها وتهون عليها ما بها من حزن .. لقد كانت تشعر بما تعانيه وتكابده فهى بين شقى الرحى, حبها لمحمود , وعدم قبولها لمصباح كزوج ولهذا كانت سعدية دائمة التواجد لدى نعايم , وكانت سعدية على قدر كبير من الجمال , وذات عقل راجح , وقد استطاعت بالفعل ان تنزع كثيراً من الهموم عن قلب نعايم

فى اليوم التالى ذهبت أم نعايم وسعدية إلى نعايم تحمل كل منهما صينية عليها فطير الصباحية وقدمتاه لنعايم

وفى اليوم السابع للدخلة ارسلت لها امها عشاء السبوع وهو عبارة عن دقيق وأرز وسكر .كانت هذه عادات اهل القرية

مرت الايام ..... وذات يوم حملت نعايم على رأسها " مشنة " بها طعام الغداء لمصباح , وذهبت اليه فى حقله , وجدته جالساً تحت شجرة توت ضخمة على رأس حقله وبجوار الساقية , حيث ثور معلق بالساقية , ويدور لتمتلئ " القواديس " بالماء ملقية به فى حوض كبير يمر منه الماء من فتحة إلى قناة تخترق الارض لترويها .

رحب بها مصباح قائلاً : اهلاً يا نعايم " وجلست بجواره

وأفرغت ما فى المشنة " من طعام حتى اذا ما اتم مصباح طعامه وشرابه جمعت نعايم الاطباق واكواب الشاى . وغسلتها ثم حملت " المشنة " على رأسها راجعة من حيث أتت .

كانت تتمنى أن تقابل محمود , مع ان الطريق الذى تسلكه مخالف للطريق الذى يقع فيه حقل محمود .

" كأن قلبها دليلها " إذ فجأة وجدت محمود على رأس حقل وهو يطنبر من رافد صغير من الترعة الرئيسية « الطنبور هو اسطوانة كبيرة حلزونية من الداخل يقع أحد طرفيها فى الماء وعندما يدير الفلاح الطنبور عن طريق يد حديدية مثبتة فيه يرتفع الماء داخل الطنبور ليصب من الطرف الاخر فى حوض صغير به فتحة ليمر فيها الماء إلى قناة تخترق الحقل »

تسمرت نعايم فى مكانها ... راها محمود . توقف عن الطنبرة وقام مسرعاً وسلم عليها . قالت له

- ماذا جاء بك الى هنا ؟
- هذا حقل زوج اختى ؟ وهو مريض , وأنا أروى له أرضه
- كيف حالك يا محمود ؟
- الحمد لله ... أقاسى وأعانى وبى لوعة الفراق

- هكذا حالى , ويعلم الله ما بى يا محمود
- أنا لا أنام ، ولا يفارقنى طيفك , وأجعل همى كله فى العمل حتى أجد فيه سلوتى .
- وأنا لا أفتأ اذكرك فى صحوى ومنامى
- لك الله يا نعايم
- سوف انصرف حتى لا يرانا أحد فيظن الظنون
- فى رعاية الله وسلامته .

★★★

كانت ام محمود تعرض عليه بعضاً من فتيات القرية بغية قبوله الزواج باحداهن , لكنه كان يرفض باصرار وكان والده يلح عليها ان تقنعه بالزواج , ولكنه كان لا يستجيب لها

الفصل الثالث

مرت فترة من الزمن ونعايم تحاول أن تتقبل مصباح كزوج لها أو تطوع نفسها كزوجة له وتجاهد فى تحويل عواطفها تجاهه بالقبول , وفى النهاية فشلت , فلم تعد تطيق مصباح كزوج ورغم هذا كتمت ما تشعر به كابنة بارة بأبيها الذى ظلم عواطفها

كان طيف محمود يلازمها ليل نهار , يعيش معها ولا يفارقها , كانت تتخيل مصباح كأنه محمود , لعل ذلك يكون معيناً لها على تحمل ما تعانيه حنى أنها كانت تخشى أن تخاطب مصباح على أنه محمود وهى ناسية , ولهذا كانت تجاهد فى كبح عواطفها أمام مصباح وكانت سعدية دائماً ما تزورها , وتخفف عنها ما تحس به من آلام وفى آخر لقاء بها قالت لها نعايم .

- لقد فاض بى الكيل ولم أعد أستطع الحياة مع مصباح .. دلينى ماذا أفعل يا سعدية ؟

- ليس أمامك سوى الصبر يا نعايم , لعل فى طول وقت المعاشرة وحسن المعاملة ما يجعلك تتغيرين

- لم أعد أستطع وأصبح الأمر فوق طاقتى

- وماذا تنوين عمله ؟

- سوف أطلب الطلاق

- هل جننت هذا ليس بالأمر اليسير

- ليس لى خيار

- الطلاق بغيض وكريه يا نعايم .. إنه فى قريتنا كارثة

- أعلم أنه أبغض الحلال عند الله , ولكن الله أباحه إذا استحالت العشرة .

- وبأى علة تطلبين الطلاق ؟ أتدعى أنه يعاملك بجفوة ؟

- لا يا سعدية , إن مصباح رغم عدم حبى له .. إنسان طيب ويعاملنى معاملة حسنة ودائماً يخطب ودى

- اذن بماذا تبررين الطلاق ؟

- أبى والكل يعلمون أنى أجبرت على هذا الزواج , وهذا سبب كاف

- وهل تعتقدين أن أباك سوف يطاوعك ويقرك على ذلك ؟

- سأتمسك برأى مهما حدث

- أن الأمر صعب يا نعام .. تريثى حتى لا تغضبى أباك

- أبى يعلم أنه أجبرنى على هذا الزواج

- ولكن أباك شديد المراس , صلب الرأى , ولن يقرك على رأيك

- فليحدث ما يحدث .

أطرقت الفتاتان رأسيهما , وظلتا صامتتين برهة , ثم رفعت نعايم رأسها فجأة وسألت سعدية

- هل ترين محمود ؟

- أجل , فى بعض الاحيان

- وكيف حاله ؟

- إنه دائماً شارد الذهن , ولم يعد مرحاً كعادته

- الله معه

- هل أبلغه سلامك ؟

قالت نعايم بحدة :

- لا يا سعدية .. اياك

- ولم لا يا نعايم ؟

- ليس هذا من حقى أو حقه , ولا تنسى أننى إمراة متزوجة وليس معنى عدم حبى لمصباح أن أمس حقوقه كزوج , وانت

تعلمين أن حبنا – أنا ومحمود – شريف وعفوف , فليظل هكذا حتى يقضى الله امراً كان مفعولاً . ولعلمك يا سعدية لقد قابلت محمود

- متى ؟

- منذ فتره عند عودتى من الحقل لدى مصباح حيث كنت أحمل له غذاءه

- وأين كان ذلك ؟

- عند حقل زوج أخته , لقد كان يروى له أرضه نظراً لمرضه

- وتحادثتما ؟

- أجل ... بدالى شاحباً

- لقد أصبح فعلاً شاحباً شارد الذهن ولم يعد مرحاً كعادته

- أنا الأن مصرة على الطلاق

- لك الحق يا نعايم .. لكن لدى فكرة

- ما هى ؟

- انتظرى قليلاً .. مجرد فترة من الوقت قبل أن تطلبى الطلاق

- ولم ؟

- قد تهدأ نفسك يا نعايم
- لن يتغير الامر
- أرجوك يا نعايم .. فترة أخرى لن تضرك فى شئ
- قلت لك أن الأمر لن يتغير
- أرجوك .. اطيعينى ولن تخسرى شيئاً
- اخسر راحتى
- أضيفى الى ما احتملتيه فترة أخرى , ولتكن قصيرة
- سمعاً يا سعدية مع أنى أؤكد لك أن شيئاً ما لن يتغير

كانت سعدية تهدف من وراء ذلك أن تهدأ نعايم نفساً وقد تغير موقفها .. فربما أن الوقت إذا طال تعودت على مصباح كزوج ,وقد تألفه , وقد يفترحبها لمحمود .

انصرفت سعدية مودعة نعايم , وظلت نعايم تفكر .. إن مصباح طيب القلب وعطوف . ورغم دمامته فهو محبوب من الغير , كما أنه مرح , ويعرف عن نفسه أنه دميم ودائماً يقول أنا اعرف أنى دميم , هكذا خلقنى الله , وأنا راض بذلك ولا أرغب غير ذلك حتى عندما كان خاطباً لنعايم , وقال له أحد أصدقائه وهو يمزح : أن نعايم خسارة فيك " ضحك وقال

أنا أعرف ذلك ولكنى لست خسارة فيها " وذلك لأنه ميسور الحال فقد ورث عن أبيه فداناً ونصف من الأرض , الامر الذى جعله يعيش فى بحبوحة من العيش , كما أنه يمتاز بالكرم , ويمد يد المساعدة دائماً لمن يحتاج , ولهذا كله كان محبوباً , كما أنه , أيضاً كان خفيف الظل ميالاً للمداعبة . الا أن هذا كله لم يغير ما بقلب نعايم من نفور منه كزوج فهى كأنثى لا يستهويها مصباح , كما أنه كان لا يستهوى اية فتاة من فتيات القرية .. رغم أن شباب القرية كانوا يحبونه لما فيه من صفات حسنة رغم دمامته .

كان منزل مصباح ثانى منزل فى الحارة , أما المنزل الذى يسبقه ويقع على ناصية الحارة , فهو منزل جابر الحلاق , حيث يقع محل جابر الذى يعمل فيه بالحلاقة , والمنزلان بحكم الجوار سطحاهما متلاصقان . وكان جابر يعلم تماماً – مثل أهل البلدة – ما تعانيه نعايم , فقد كان يسمع من شباب القرية عن قبولها مصباح زوجاً لها رغماً عنها , فقط إرضاءاً لأبيها. كان هذا الكلام يسمعه كثيراً من الرجال والشباب الذين يقصدونه للحلاقة .

كان جابر شاباً طويل القامة , متين البنيان , لا ينم وجهه عن وسامة أو دمامة .. ثقيل الظل ثرثاراً سليط اللسان وكان متزوجاً

من " مبروكة " وهى أمراة قصيرة القامة , تميل إلى البدانة , حادة الصوت , دائمة الشجار مع جابر , الذى لم يكن يتورع عن ضربها , ويبدو أنها كانت تجد لذة فى شجارها معه وضربه لها

لمح جابر نعايم على سطح منزلها تجمع الملابس الجافة بعد غسلها , فأسرع إلى سطح داره المجاور لسطح دار مصباح , وأشار إليها بالتحية .. لم ترد نعايم وأنما أسرعت بالأنصراف ,

لم يتسرب اليأس إلى جابر , بل أصر على أن يغازل نعايم , وفى كل مرة كانت تشيح بوجهها وتنصرف , الامر الذى زاده تعلقاً بها .

جلست نعايم وسط الدار يعصرها الفكر , إنها لا تطيق مصباح وتكاد تنفجر , وها هو جابر يغازلها .. هى لا تريد أن تعصى أباها ولا أن تخون زوجها , ولا أن تغضب ربها ... إذن لابد من حل والا أصابها الجنون .. أخيراً قررت أن تطلب الطلاق من مصباح .

جاءت سعدية , أفضت إليها نعايم بمحاولة جابر مغازلتها . قالت سعدية , أن جابر ثقيل الظل حقاً , كما أنه صفيق ولا يقدر حرمة الجار .

قالت نعايم .

- أنه بالقطع يعلم – كما يعلم غيره من أهل القرية – أنى لم أقبل مصباح زوجاً إلاخضوعاً لرغبة أبى , وقد ظن أن هذا يبيح له مغازلتى

- الم أقل لك أنه صفيق ؟ لا تعيريه اهتماماً .

- دعينا من جابر وصفاقته , أنى قد عزمت على طلب الطلاق من مصباح

- أهذا قرارك النهائى ؟

- أجل , لقد لبيت رغبتك وانتظرت فترة من الزمن ولم يتغير شئ , بل ازددت إصراراً .

- لك ما تريدين , وأفعلى ماشئت ومعك الله

★★★

حضر مصباح فى المساء والقى عليها التحية , فردت تحيته وقدمت له العشاء , ولما سألها من عدم تناولها الطعام معه قالت له : ليست لى رغبة فى الطعام

بعد أن انتهى من طعامه قالت له :

- يا مصباح , أنت رجل طيب , وأنا لا أكرهك , ولكنى لا أحبك , هذا أمر ليس بيدى وقد حاولت كثير و لم استطع أن أطوع عواطفى نحوك

- وماذا يعنى هذا ؟

- أرجوك أن تطلقنى

وجم مصباح وبهت .. صمت قليلاً ثم قال

- لا يا نعايم , أنت تطلبين المستحيل

- أرجوك يا مصباح .. أرجوك , أنت ابن عمى قبل أن تكون زوجى , وراحتى تهمك ألم تقل لى ذلك ؟

سكت مصباح ولم يرد , وأنما خرج من الدار مسرعاً وتوجه من فوره إلى منزل عمه وأخبره بما قالته نعايم , وكانت أمها حاضرة . قال صالح محاولاً تخفيف قول نعايم على مصباح

- أصبر يا بنى , إنها تتدلل عليك

- لا ياعمى , ليس هذا دلالاً ولكنه كره

- صدقنى يا ولدى هى لا تكرهك

- ولكنها يا عمى لا تحبنى كما قالت لى صراحة .

قالت الأم فى صوت خافت :

- مسكينة يا ابنتى

قال صالح :

- لا تسمع كلامها ولا تعره انتباهاً , فالمستقبل كفيل بتغير الاحوال وأرجوك يا بنى أن تصبر عليها , والأمر أمر وقت ليس إلا

- سوف أطيعك يا عمى وأصبر

أنصرف مصباح عائداً إلى منزله , وترك عمه وزوجته التى قالت له :

- يا صالح , إبنتنا تعانى , ومن الظلم أن ندعها تقاسى وتعاشر زوجاً لا تطيقه

- دعك من هذا الهراء , فالطلاق ليس بالشئ الهين وسوف تغير نعايم رأيها مستقبلاً عندما ترزق بطفل

- وهل ينجب القرد الا قرداً ؟

صاح بها زوجها :اسكتى

- أمازلت مصراً على ظلم ابنتنا الوحيدة ؟ ان ذنبها معلق برقبتك

- لا تتجاوزى حدودك يا امراة , فانت لا تفهمين أمور الحياة

وحتى لا تصل الأمور إلى أبعد من ذلك , وإزاء إصرار الزوج وعناده , أنصرفت الأم باكية .

دخل مصباح حجرة نومة فوجد نعايم ساهرة لم تنم بعد , وقد افترشت الأرض تاركة السرير . قال لها مصباح :

- لماذا تتركين السرير وتنامين على الأرض ؟

- ان السرير لك والأرض لي

- أن هذا الأمر لا يصح بين زوجين

- لم نعد زوجين يا مصباح

- لقد أخبرت عمى بكل ما قلتيه وأوصانى بالصبر وأن أحتملك

قالت نعايم باصرار

- لن تجد منى فائدة بعد الأن

اراد مصباح أن ينهى المجادلة فقال :

- نامى الأن ويجعل الله فى الصباح فرجاً .

نـزل مصبـاح من على السـرير , ورقـد بجوارها على الأرض , وقال لهـا مداعبـاً : انـت حياتـى , فهـل يرضيكـى أن تسـلبينى حياتى ؟

- يـا مصبـاح أنـا لا أكرهـك , ولكنـى لا أسـتطيع ان اقبلـك زوجـاً إنـى أعـدك أخـاً لى

- وهل ينقصنى شئ من الرجال ؟

- لا ينقصك أى شئ .. انت سيد الرجال , ولكن لا اتفق معك كزوجة .

- فلتصبرى كما قال عمى ربما تغيرين رأيك

- لا يا مصباح

- سوف أنام معك على الأرض

- لا يا مصباح , قم إلى سريرك ودعنى أرجوك

- يعنى هذا أن لا فائدة ؟

- أجل يا مصباح

- لك ما شئت

نامت نعايم على الأرض , ونام مصباح على السرير . قامت نعايم فى الصباح – كما تعودت أن تقوم مبكرة – وقدمت الطعام إلى مصباح دون أن تشاركه أو تتكلم , فاكل غير مبال , وأنصرف إلى عمله . صعدت نعايم إلى سطح الدار , فإذا بها تجد جابراً كأنه كان فى انتظارها , وأشار إليها بالتحية , فلم ترد وهبطت إلى أسفل الدار مسرعة وهى تعانى الاماً لا تحتمل . جلست على الأرض تبكى حادثت نفسها : هذا زوج لا تطيقه

وهذا شيطان رجيم يتربص بها

وهذا حبيب بعيد المنال

وهذا أب قاس

وهذه أم لاحول لها ولا قوة

إنها حلقات متصلة من اليأس والقنوط .

فى المساء عاد مصباح إلى داره , وقدمت نعايم له العشاء دون أن تشاركه – كما فعلت بالأمس – وبعد أن فرغ من طعامه قالت له :

- ماذا قررت يا مصباح :

تجاهل مصباح سؤالها قائلاً :

- فى أى شئ ؟

- فى مسألة طلاقى منك ؟

- إنس هذا الموضوع الآن , وهيا إلى النوم

- نم انت على السرير , ودعنى افترش الأرض

- لا يصح هذا يا نعايم

- بل هو الصحيح يا مصباح

قال قى أسى :

- لك ما شئت .

وكالأمس نام مصباح على السرير , أما هى فقد أفترشت الأرض وظلت طول الليل تفكر فيما يجب أن تفعله .. ها هو مصباح لا يستجيب لطلبها , وماذا فى وسعها أن تفعل ؟ إذا جاء الصباح فلا بد من عمل شئ ما .

فى الصباح لم يبد عليها تغير فى ملامح وجهها , وأدت واجبها كالمعتاد .. وخرج مصباح إلى عمله , أما هى فقد جمعت ملابسها وحاجياتها فى صرة حملتها على رأسها , وتوجهت إلى منزل أبيها .

دخلت نعايم دار والدها تحمل فوق رأسها صرة ملابسها . وعندما رأتها أمها أدركت ما انتوته نعايم . نظرت إليها دون ان تتكلم, ووضعت نعايم صرة ملابيها على الارض وظلتا صامتتين برهة . ثم ضمت الأم أبنتها قائلة :

- ما الأمر يا نعايم ؟

- لم أعد أحتمل يا أمى .. لقد حاولت جهدى وقاومت أن أقبل مصباح فى حياتى فلم أستطع , ولن أعود إليه سواء طلقنى أم لا

- ولكن والدك لن يقرك على نواياك

- إذا أجبرنى أبى على العودة لمصباح فسوف أقتل نفسى فاحتضنتها أمها فزعة قائلة

- لا يا أبنتى ... لا .. لا لن أخضع لأبيك وسوف يقبل رغبتك ويجيب طلبك

عاد الأب إلى منزله عصراً فوجد نعايم فى الدار , قطب حاجبيه وقال :

- ماذا يا نعايم ؟

عندئذ قالت الأم :

- أسمع يا صالح , أن نعايم لم تعد تحتمل مصباح ولقد أجبرتها على الزواج منه , وقبلت إرضاء لك وعدم معصيتك وحاولت جهدها أن ترضى به زوجاً فلم تطاوعها عواطفها , وأصبحت لا تطيق حياتها معه .

- لكن مصباح أصبح زوجها وتجب عليها طاعته والرضا به زوجاً

- لقد حاولت ولم تستطع

عندئذ صاحت نعايم فى جرأة لم تعهدها أمام ابيها :

- أرحمنى يا أبى , أن النار تشتعل فى قلبى .. ولا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا .. أرجوك يا أبى

- حاولى يا ابنتى

- سوف أقتل نفسى أن أجبرتنى على العودة لمصباح

صرخت الأم قائله :

- لا يا أبنتى .. لن نجبرك على شئ لا تريدينه , وأنت يا صالح كفى معاندة , ولا تنس أن هذه ابنتنا الوحيدة , ولن أدعها تضيع منا

أطـرق صـالح وأدرك أنـه يجـب أن يخضـع لرغبـة أبنتـه وزوجتـه وقـال :

- إلى هذا الحد تكرهينه ؟

قالت نعايم :

- أنا لا أكرهه , وإنما لا أطيقه زوجاً أنا اعتبره اخاً لى

غلبت عليه عاطفة الابوة على عاطفة حبه لابن أخيه فقال

- لك ما تشائين يا ابنتى .

أسـرعت نعايـم متناولـة يـد أبيهـا تقبلهـا . تمتـم الأب : إلى هـذا الحـد لا تقبلينـه . ؟

لم تذهـب نعايـم إلى الحقـل بالغـذاء لمصبـاح كعادتهـا .. أنتظرها حتـى عصـر اليـوم فلـم تحضـر سـاوره الشـك والظنـون فيمـا قـد حـدث لهـا حتـى لا تحضـر لـه الطعـام .. رجـع إلى البيـت فلـم يجدهـا وتفقـد حاجياتهـا وملابسـها فلـم يجدهـا , فـأدرك أنهـا تركـت منزلـه إلى منـزل أبيهـا .

توجـه مـن فـوره إلى منزلـه عمـه , فوجـده جالسـاً علـى المصطبـة وكأنـه كان ينتظـره ,القـى عليـه التحيـة ثـم قـال :

- نعايم تركت المنزل يا عمى , أهى لديكم ؟

- أجل يا بنى

- أنا لم أغضبها فى شئ

- أعلم يا ولدى

- ما العمل يا عمى ؟

- لا ادرى ماذا اقول يا ولدى

- لا تقل شيئاً وسوف أعفيك من الحرج , ما دامت نعايم لا تريد معاشرتى فلن أجبرها على شئ لا تريده , فهى قبل أن تكون زوجتى فانها ابنة عمى .. يعنى أختى ويهمنى أن تكون مرتاحة وسعيدة . نادها يا عمى

- لماذا تريدها يا مصباح ؟

قال مصباح فى حزم :

- نادها يا عمى

نادى صالح ابنته طالباً منها الحضور , فحضرت هى وأمها. قال مصباح موجها كلامه لنعايم :

- يا ابنة العم , أنا لم اسء اليك فى شئ

قالت نعايم

- أنت نعم الزوج

- فلماذا تكرهينى ؟

- يـا مصبـاح أنـا لا أكرهـك , ولكنـك بالنسـبة لى أخ ولسـت كـزوج فمـاذا أفعـل فـى قلبـى ؟

- علـى كل , يهمنـى راحتـك وسـعادتك , ولطالما راحتك وسـعادتك فى فراقك لى ورغم أن قلبى ينفطر حزنا ..... " ثم تهدج صوته وقال

- انت طالق ولك حريتك .

ثم قام مسرعاً وانصرف عائداً الى منزله .

الفصل الرابع

أصبحت نعايم طالقة , وانتشر خبر طلاقها فى أنحاء القرية , كان الطلاق من الامور النادرة ويعتبر حدثاً جللاً قالت النسوة .

- اخيراً نالت حريتها بعد أن أجبرها أبوها على الاقتران بمسخ بشرى .

قال الرجال :

- كيف تتزوج الغزال قرداً ؟

على أن الجميع أجمعوا على أنها عانت كثيراً , ورغم معاناتها فإنها لم تعص لأبيها امراً , ولم تتمرد إلا بعد أن فاض بها الكيل .

علم محمود بطلاقها , فأمتلأ قلبه بالسعادة , وعاوده الأمل من جديد فى ان يجتمع شمله بنعايم كما علم جابر بطلاقها فأحس بالسرور يملأ قلبه , وأضمر فى نفسه امراً .

وعندما علمت سعدية , أسرعت إلى نعايم لزيارتها , وجلست معها فى صحن الدار . قالت نعايم

- أنا الأن أصبحت حرة

قالت لها سعدية

- وماذا تنوين عمله بعد طلاقك ؟

- لا بد أن أقابل محمود .

- كيف ؟ إن أباك لن يسمح لك بالخروج

- سوف أحتال على ذلك , فقط عليك بزيارتى يومياً

- سوف أتيك كل يوم

- دبرينى كيف أقابله

- قابليه كما كنتما تتقابلان قبلاً

- أتقصدين الصفصافة ؟

- أجل

- إضربى معه موعداً يقابلنى هناك

- دبرى أمرك أولاً كيف ستخرجين من البيت ؟

- سوف استعطف أمى لكى تدعنى أخرج

- وإذا لم توافق ؟

- تحت إلحاحى ستوافق

- أذن سأقابله واضرب لك معه موعداً .

★★★

قابلت سعدية محمود , وأبلغته برغبة نعايم فى مقابلته , فحدد لها موعداً عند الصفصافة وأخبرت سعدية نعايم بذلك .

ظلت نعايم تستدر عطف أمها , وترجوها أن تسمح لها بالخروج بدعوى زيارة سعدية , وعندما قالت لها أن أباها لو علم بخروجها من المنزل سيكون طامة كبرى , فأخبرتها نعايم أنها لابد أن تروح عن نفسها وإنها لن تمكث طويلاً بالخارج .

وأخيراً سمحت لها أمها بالخروج , ولقيت محمود , وكان لقاء المقهورين . قالت نعايم

- أنا الأن أصبحت حرة وعليك أن تجعل أباك يسرع فى طلب يدى من أبى قبل أن يسبقك رجل آخر

- سوف يحدث

★★★

عند رجوعها إلى المنزل كانت سعدية تصحبها , وقد لمحها جابر–ولكنه لم يدرك أنها كانت تقابل محمود – فقرر أن

يسرع فى طلب يدها من والدها

أما محمود , فقد جلس مع أبيه وأمه وأخيه الصغير أحمد وقال محمود :

- ان نعايم أصبحت الأن حرة . فارجو يا أبى ان تطلبها لى من ابيها قبل ان يسبقنا أخر

قال الاب

- ابعد كل ما حدث , ورفضه لك قبل ذلك تطلبها للزواج مرة أخرى ؟ لا يا بنى .. لا

- ولكنها يا أبى ليس لها ذنب فيما حدث , وأنت تعلم أن أباها أكرهها على الزواج من مصباح

- ولكنه زواج على سنة الله ورسوله

- إنه زواج مكرهة

- وهل تتزوج مطلقة وأنت لم يسبق لك الزواج ؟

- لا يعد زواج نعايم من مصباح زواجاً شرعياً , لأنه إكراه للعشرة , والله ورسوله لا يرضيان بذلك

- ولكنه زواج تم على سنة الله ورسوله

- يا أبى .. الله ورسوله لا يقبلان الإكراه فى الزواج

- يا بنى أنها مطلقة

- أنها طلقت لأنها أكرهت على زواج تأباه , ولم تعص لأبيها أمراً , كما أنها لم ترتكب إثما أو خطيئة فلا تظلمها كما ظلمها أبوها

أومأ محمود إلى أمه وأخيه بما يعنى أن يتدخلا . قالت امه

- يا حاج رجب , أحلفك بالله الذى حججت بيته ورسوله الذى أرسله , أن تلبى رغبة إبنك .. فلطالما هى رغبته فلتلبها له

- وهل تقبلين أن يتزوج ابنك من مطلقة ؟

- وما ذنبها إن ما يقوله ابنك هو الصواب

قال الطفل احمد :

- بالله يا أبى أن تلبى رغبة اخى

كانت الأم والأبن يعلمان ما يكنه قلب محمود من حب نعايم , فكانا فى صفه ناصرين ومعاونين

رق قلب الأب وأدرك مدى تعلق ابنه بنعايم ورأى أن من الحكمة أن يحقق له رغبته ويستجيب لرجاء زوجته وابنه احمد . قال الأب :

- فلننتظر يا بنى حتى تنقضى عدتها

- شكراً يا أبى

★★★

قابل محمود سعدية وأخبرها بموافقة أبيه على زواجه من نعايم بعد إنتهاء عدتها , وعلى الفور ذهبت سعدية إلى نعايم وأخبرتها بذلك

فرحت نعايم أيما فرح عندما علمت ذلك من سعدية وقبلتها وصفقت بيدها واهتز جسدها رقصاً فنظرت إليها سعدية مبهورة وقالت :

- إلى هذا الحد يا نعايم ؟

- أجل يا سعدية , فانت لا تعرفين ما يمثله محمود بالنسبة لى

صمتت سعدية بعد ذلك وظلت ساهمة . قالت لها نعايم :

- فيم تفكرين ؟

- سوف أسألك سؤالاً وأرجو أن تجيبينى عليه بمنتهى الصراحة

- قطعاً يا سعدية فانت أختى ولا أخفى عليك سراً

- هل خرج مصباح من حياتك إلى الأبد ؟

- أجل ولم يبق منه سوى أنه ابن عمى

- إن مصباح لن يظل هكذا بدون زواج , ولابد له أن يجد من ترضى به زوجاً , فما شعورك بذلك

- فرحة الأخت لأخيها

- ألا ينتابك شئ من الندم ؟

- على أى شئ ؟ أنا الذى تركته فكيف أندم على شئ تركته بإرادتى

- سوف أصارحك القول لو تقدم لى مصباح زوجاً فسوف أقبله

فغرت نعايم فاها دهشة وقالت فى ذهول :

- اترضين به زوجاً ؟

- أجل يا نعايم

- انت جميلة , ويرغبك أى شاب فى القرية

- ولكنى لا آنف منه زوجاً

- أانت جادة فيما تقولين ؟

- أجل يا نعايم

- إذا كانت هذه رغبتك فإنى سوف اسعى لتحقيقها

- كيف ؟

- سأطلب من أمى أن تحادث أبى وتطلب منه أن يطلب من مصباح أن يطلبك للزواج .. فقط اسألك سؤالاً

- ما هو ؟

- ماذا أعجبك فى مصباح ؟

- إنه رجل طيب القلب ميسور الحال ورغم دمامته فهو حسن العشرة

- إنه حقاً كما تقولين ولكن دمامته تمحو كل حسناته

- أنا أعتقد العكس .. أن حسناته تمحو دمامته

- إنه ابن عمى وأخى , وأنت صديقتى الحميمة , وأكثر اخوة لى , وطالما هذه رغبتك فسوف اسعى لتحقيقها

★★★

انصرفت سعدية وتركت نعايم ذاهلة .. ذهبت نعايم إلى أمها وقالت لها :

- هل تتصورين يا أمى أن سعدية لا تمانع فى قبول مصباح زوجاً لها إذا ما طلبها للزواج ؟

قالت الأم فى دهشة .

- هل هذا معقول ؟

- لقد أخبرتنى بذلك .. ولهذا أرجوك يا أمى أن تحادثى أبى أن يطلب من مصباح أن يطلب سعدية من أبيها للزواج .

- هل تتكلمين بصفة الجد ؟

- أجل يا أمى , لقد قالت هى ذلك بنفسها وصراحة

أطرقت الأم .. كانت كلتاهما – الأم والأبنة – تريدان أن تقدما لمصباح شيئاً يعوضه عن فقده لنعايم خاصة وأنه كان كريماً فى معاملته لها , وحقق لها رغبتها فى الأنفصال دون عناء منها ودون ممانعة منه , وقد أعتبرتا هذا جميلاً يجب عليهما أن ترداه بمثله .. وها قد جاءت الفرصة لرد الجميل .

عندما حضر صالح قالت له الأم :

- يا صالح .. ان مصباح رجل طيب ولم يسء لابنتنا كما أنه ابن أخيك الوحيد , ويجب أن نكون كرماء معه كما كان كريماً مع ابنتنا ومعنا .

- ما معنى هذا ؟

- يجب أن تخطب له فتاة عوضاً عن نعايم

- انت التى تطلبين هذا ؟

- أجل يا صالح يجب أن نرد له الجميل

- ومن تظنين الفتاة التى نطلبها له ؟

- اطلب له سعدية

نظر الرجل اليها فى دهشة قائلاً :

- سعدية ؟

- أجل سعدية

- إن ابنتك وهى ابنة عمه لم تقبله زوجاً أتقبله سعدية ؟

- أجل تقبله

أحسن صالح الثقة فى كلامها فقال :

- أواثقه أنت من ذلك ؟

- أجل واثقة .

- ومن أين لك هذه الثقة ؟

- لقد تكلمت سعدية مع نعايم , وأبدت رغبتها وعدم ممانعتها لو تقدم مصباح طالباً يدها للزواج

- إذا كان الأمر كما تقولين , فإن هذا يسعدنى كثيراً ويريح قلبى تجاه ابن اخى , نظراً لإحساسى تجاهه بالأسى . وسوف اطلب منه ذلك

جلس صالح مع مصباح وقال له :

- يجب أن تتزوج يا مصباح

- لا يا عمى

- لماذا يا ابنى ؟

- كفى يا عمى ما حدث

- أن الحياة لن تتوقف يا بنى , وكل شئ قسمة ونصيب

- وهل أكرر التجربة مرة أخرى , وأعرض نفسى للسخرية من فتاة لا تقبلنى زوجاً لها ؟

- لا تقل هذا يا بنى , فهناك من تتمناك

- ياعم إذا كانت ابنتك لم ترغب فى عشرتى وهى ابنة عمى , فمن هى التى تقبلنى زوجاً لها ؟

- لقد وجدتها

- وترضى بى ؟

- أجل

- من هى ؟

- سعدية

قال مصباح فى دهشة :

- سعدية ؟

- أجل يا بنى

- اتقول يا عم إنها ترضى بى زوجاً ؟

- أجل يا بنى ... وافق أنت فقط وسوف أقوم أنا بخطوبتها لك

- من ناحيتى ليس لدى مانع , ولكنى أخشى على نفسى من رفضها , فيحزننى ذلك اكثر مما أنا فيه من حزن

- لن ترفض , وسوف أقوم بخطوبتها لك

- وما الذى يجعلك متأكداً من قبولها ؟

- أنا واثق مما اقول

- افعل ما شئت يا عمى , أما أنا فلن أذهب معك لوالدها , أذهب أنت وحدك حتى إذا تم الرفض أكون بعيداً عن الأمر وليس لى فيه دخل

فى اليوم التالى ذهب صالح إلى عبد البر – والد سعدية – وطلب منه ابنته زوجة لابن أخيه

أصابت عبد البر الدهشة وقال :

- أنه كان زوجاً لابنتك ولم تطقه وهى ابنة عمه فكيف تطلب

منـى ابنتـى زوجـة لـه ؟

- إنه ابن أخى والزواج قسمة ونصيب

- وهل تظن أن ابنتى تقبله كما لم تقبله إبنتك ؟

- إن الأمـر يختلـف مـن شـخص لآخـر , ومـا أقبلـه أنـا قـد لا تقبلـه أنـت , وعلـى كل لا تعطنـى رأيـك الأن , فكـر فـى الأمـر وشـاور أهـل منزلـك , فقـد لا تجـد مخالفـة وسـوف أعـود إليـك بعـد يومين

- تطلـب منـى أن آخـذ رأى أبنتـى وأمهـا , فهـل أخـذت انـت رأى إبنتـك وأمهـا عنـد زواجهـا ؟

- الأمـر يختلـف , فهـو ابـن عمهـا , وكان يجـب أن تتزوجـه لتنعـم ببحبوحتـه , فمـا أملـك لهمـا بعـد وفاتـى . لأنـه وارثـى وكان علـى أن أصمـم علـى زواجهمـا حتـى يصـير مـالى ومالـه لهمـا سـوياً

- ادركت الان مقصدك وسوف أفعل إن شاء الله فقط عد إلى بعد يومين

إنصرف صالح .. نادى عبدالبر زوجته وابناءه وقال :

- اتدرون لم جاء صالح لزيارتنا ؟

قالها بلهجة التهكم . قالت الام :

- وأن لنا أن نعرف

- إنه جاء يطلب سعدية للزواج من ابن اخيه مصباح

فغرت الأم فاها دهشة , وعلت الدهشة وجوه الأبناء ما عدا سعدية التى كانت تعلم سبب الزيارة

قالت الام :

- صالح يطلب سعدية للزواج من مصباح وهو يعلم أن ابنته نعايم لم تطقه زوجاً لها . هل هذا معقول ؟

- إن هذا ما حدث , ولم أقطع معه برأى , فقد طلب منى أن استشيركم فى الأمر

اسرعت الأم قائلة :

- طبعاً ترفض يا عبدالبر

- قال الابن " سعد " وكان ميالاً لمصباح

- يجب الأ نتسرع فى البت فى الأمر فإن مصباح رغم دمامته محبوب من الناس وذو سعة من العيش وهو رجل مؤدب ولم نسمع عنه ما يشينه , وقبل كل شئ واخره يجب أن نأخذ رأى سعدية

قال الاب

- ومنذ متى ناخذ رأى بناتنا ؟

- يـا أبـى مصبـاح لا يعيبـه إلا شـكله وهـو ميسـور الحـال يملـك مـن الأرض فدانـا ونصـف , ويعيـش فـى بحبوحـة مـن العيـش , ولا يعمـل اجـيراً عنـد احـد , بـل الغـير هـو الـذى يعمـل عنـده اجـيراً

قال الأب فى تهكم !

- ما رأيك يا سعدية ؟

- أتسمح لى يا ابى أن أقول رأيى صراحة ؟

- أجل يا أبنتى

- كل مـن تقـدم لى كان فقـيراً أو اجـيراً , وهـل تـروم الفتـاة مـن الـزواج غـير رجـل ميسـور الحـال , تعيـش فـى كنفـه عزيـزة مكرمـة , يجعلهـا مرتاحـة البـال امنـة المسـتقبل

قال الرجل

- يبـدو أنكـم علـى صواب .. أشـم فى كلامك يا سـعدية رائحه الموافقة

- ما تراه يا أبى صواباً افعله

- اسـألك صراحـة اتقبلينـه زوجاً ولا تفعلين مثـل ما فعلت معه نعايم ؟

- يا ابى كل له رأيه

- أجيبى صراحة ولا تخجلى

- أجل يا أبى

هدأت الام بعد سماعها كل ما دار من حديث وقد تغير رأيها .. واتفق الجميع اخيراً على أن مصباح صفقة رابحة رغم دمامته , وما دامت سعدية تقبل دمامته , فانه يكون زوجاً مناسباً لها

قال الرجل فى نهاية المناقشة .

- لقد حادثنكم فى الأمر بغية المزاح , فاذا بالأمر يأخذ مسار الجد , ولم نعتد أن نأخذ رأى الفتيات فى الزواج ولكن لن أفعل كما فعل صالح فى إجبار إبنته على الزواج من رجل لا ترغبه , فكان الطلاق نهاية المطاف

قالت الأم بعد أن راقتها المناقشة

- تعودنا منك يا عبدالبر حسن التفكير , والأمر فى النهاية لك وحدك

- سوف أقبل مصباح .. أتدرون لماذا ؟

قالت الام :

- لم يا عبد البر ؟

- اولاً لأن سعدية موافقة ثانياً لأن من يكون مثل مصباح سوف يضع سعدية فوق رأسه وداخل قلبه , لأنه يعلم أنها جميلة وهو دميم ولهذا سوف يطلب ودها دائماً ويعمل على راحتها

- صدقت يا عبدالبر

عندما عاد صالح مرة أخرى إلى عبدالبر , أخبره عبد البر بالموافقة فحدد معه ميعاداً يلقاه مع ابن اخيه , وقام صالح با خبار مصباح بموافقة عبدالبر :

قال مصباح لعمه

- لقد وافق أبوها , فمن اين لى ألا تفعل مثل ما فعلت ابنة عمى ؟

- لا يا مصباح , سعدية تريدك فعلاً

- وأنّ لك أن تعرف رأيها ؟

- إنها كانت دائمة الحديث مع نعايم , وكانت دائماً تمدحك

- وهل يعنى مدحها لى قبولها الزواج منى ؟

- أجل .. إن نعايم صديقتها وتعرف إنها تقبلك زوجاً

- او تعرف نعايم ذلك ؟

- أجل ... وهى التى طلبت منى أن اخطب لك سعدية بناءاً على طلبها .

- أتأكدت أنت يا عم من هذا ؟

- أجل يا ولدى , وإلا لما ذهبت لأبيها وخطبتها لك

- إذا كان الأمر كذلك فالله الموفق

- على بركة الله يا بنى

اصطحب صالح ابن اخيه مصباح إلى منزل عبدالبر وعندما جلسا مع صاحب الدار قال صالح .

- الأن جئت اطلب يد ابنتك سعدية لابنى مصباح ..

قاطعه مصباح قائلاً :-

- مهلاً يا عمى من حقى أن اتأكد أن سعدية توافق أم لا

قال عبدالبر :

- أجل يا مصباح هى موافقة

- يهمنى أن أتاكد من ذلك قبل قراءة الفاتحة , ونرتبط ثم لاقدر الله يحدث ما لايحمد عقباه

- لك الحق فى ذلك يا بنى . ولكنى اؤكد لك أنها موافقة وإلا لما قبلتك .. فأنا غير عمك . لا أجبر ابنتى على شئ لا تريده

- اعذرنى يا والدى , فلقد مررت بتجربة أرجو الا تتكرر

قال عبدالبر:

- لك الحق يا ولدى , ونحن نقدر ما حدث لك , ولكن أؤكد مرة اخرى عدم ممانعتها

- انا سعيد بذلك وسوف أضع سعدية داخل عينى وعلى بركة الله نقرأ الفاتحة

وقرأ الجميع الفاتحة .. وتمت خطوبة سعدية لمصباح

انتشر خبر خطوبة سعدية لمصباح فى القرية , وكان لهذا الخبر صداه , نظراً لجمال سعدية وقبح مصباح الأمر , الذى جعل شباب القرية فى حيرة .. ولكنهم لا يعرفون وجهة نظر سعدية فى قبولها لمصباح زوجاً ... وان سعدية رأت فيه – رغم دمامته– بسطة فى الجسم ويسراً فى المال

وشجع هذا جابر على ما نواه . فذهب إلى والد نعايم فى الحقل فوجده راكباً " النورج " والنورج مربوط برقبة ثور مغمى العينين , يجره فوق دائرة من حزم القمح التى تتعرض لعجلات النورج الحديدية الحادة , فتهرسها لتفصل الحب عن العيدان بعد تكسيرها لتصبح تبناً . نزل صالح من على النورج وترك الثور يدور وجلسا تحت شجرة التوت . تكلم جابر مع صالح فى أمر زواجه من نعايم . قال صالح .

- انت تعلم يابنى ان نعايم الان فى شهور العدة كما أنك رجل متزوج

- أنت تعلم ياعم صالح أنه لا وفاق بينى وبين زوجتى مبروكة فهى امرأة سيئة الطبع , وتهوى النكد , كما انها عاقر ,
- ولكنها زوجتك
- سوف اطلقها
- أنا لا أرض يا بنى بخراب البيوت
- أن هذا الأمر لا بد من حدوثه . لأن العشرة أصبحت مستحيلة بيننا
- دع الأمر الأن , لأن نعايم كما قلت لك فى شهور العدة
- سوف انتظر .. فقط ارجو منك وعداً
- يفعل الله ما يشاء

انتعشت امال جابر فى الفوز بنعايم , وصار كثير التردد على صالح , والجلوس معه على المصطبة .

احست نعايم بالخطر فطلبت من أمها , ان تزور سعدية فى دارها أثناء وجود أبيها فى الحقل , وبدعوى تهنئتها بخطوبتها لمصباح , الأمر الذى جعل أمها تستجيب لها .

وعندما كانت نعايم فى ضيافة سعدية , أخبرتها بمخاوفها من تردد جابر كثيراً على والدها وأنها ترى هذا مؤشراً سيئاً وطلبت منها الإسراع فى إخبار محمود برغبتها فى لقائه

عنـد الصفصافـة . وفـى الموعـد المحـدد , حضـرت سـعدية إلى أم نعايـم وطلبـت منهـا ان تسـمح لنعايـم بصحبتهـا لشـراء بعـض مسـتلزمات الـزواج , فسـمحت أمهـا لهـا بشـرط عـدم التاخـير .

أسـرعت نعايـم الى عشـها الغرامـى لتجـد محمـود فـى انتظارهـا , بكـى الاثنـان قبـل ان يأتيهمـا الـكلام . قـال محمـود .

- لقد طلبت من أبى أن يخطبك من أبيك
- وماذا قال لك ؟
- وافق بعد شهور العدة
- اطلب منه أن يأتى لأبى ويقرأ معه الفاتحة
- طلبـت منـه ذلـك . لكنـه قـال أنـه ليـس مـن اللائـق الأن ذلـك قبـل أن تتـم عدتهـا .
- انـى أرى جابـر الحـلاق يحـوم حـول أبـى . وأنـا لا استبشـر خـيراً بـتردده الدائـم لـدى أبـى
- أعتقد أن أباك لن يبت فى أمر زواجك قبل إنتهاء عدتك
- لست مستريحة يا محمود واشعر بعدم الاطمئنان
- ان ابـاك لـن يسـتطيع ان يفعـل شـيئاً قبـل انتهـاء عدتـك هـذا مـا قالـه أبـى .

- أرجو يا محمود ان تطلب من ابيك ان يحادث ابى قبل انتهاء العدة بقليل يجب علينا أن ندرء الخطر قبل وقوعه

- سوف أفعل إن شاء الله

- سوف اتصرف الأن لأن أمى حذرتنى من التاخير

- تصحبك السلامة

وعند العوة كانت سعدية برفقة نعايم , ولم يكن لهما حديث سوى ما هى فيه من مخاوف ان يتقدم جابر أو غيره لأبيها قبل محمود . ولكن سعدية طمأنتها قائلة

- لقد قال لك محمود أنه طلب من أبيه خطوبتك , وقد وافق أبوه فور انتهاء عدتك , وهذا امر معقول

- لكنى خائفة يا سعدية

- اطمأنى يا اختاه

الفصل الخامس

ذهب جابر إلى صالح , وجلس معه على المصطبة , قال جابر :

- لقد طلقت مبروكة

- ولم يا ولدى ؟

- لأننى أصبحت لا أطيقها , كما أنى لا أرغب فى أن يكون لنعايم ضرة

- قلت لك أنتظر ولا تتسرع

- نقرأ الفاتحة وننتظر حتى توفى عدتها

أطرق صالح قليلاً ثم قال :

- لقد تسرعت يا ولدى

- أن هذا الأمر واجب الحدوث كما أخبرتك يا عمى

- وقيم العجلة يا ولدى

- ولماذا الأنتظار إننا متفقان

- نحن لم نتفق بعد

- لا يوجد ما يمنع اتفاقنا . فلنتفق على بركة الله

قال صالح لنفسه : خير للمطلقة أن يعجل بزواجها " ثم قال لجابر :

- على بركة الله نقرأ الفاتحة " ومد يده إلى جابر . نظر جابر إلى الطريق فوجد بالمصادفة رجلين يسيران فى الطريق أمام منزل صالح , فناداهما قائلاً : تعال يا سيد أنت وعلى

أقبل الرجلان عليهما قال لهما

- اجلسا قليلاً لتكونا شاهدين على قراءة الفاتحة فقد خطبت نعايم من أبيها زوجة لى .

كان جابر من الخبث بحيث نادى الرجلين ليكونا شاهدين على موافقة صالح على زواجه من نعايم وقراءة الفاتحة .

جلس الرجلان , ومد جابر يده الى صالح وقرأ الجميع الفاتحة وانصرف الرجلان , اما جابر فقد فرك يديه سعادة وشكر صالح وانصرف

جاءت أم نعايم تعاتب زوجها .

- لماذا تسرعت وقرأت الفاتحة مع جابر

- خير للمطلقة أن يعجل بزواجها

- وماذا لو انتظرنا فربما يأتيها من هو أفضل من جابر

- ابنتك مطلقة ولن يأتيها أفضل من جابر

- ولكنه متزوج

- لقد طلق زوجته ، كما ان ابنتك مطلقة .

ادركت الأم أن زوجها ارتبط بالفاتحة مع جابر ولا سبيل للرجوع , وللمرة الثانية اسقط فى يد الام . دخلت الام على ابنتها فوجدتها راقدة باكية وهى تلطم خديها قالت لها

- ما يبكيك يا ابنتى ؟

- لقد قرأ أبى الفاتحة مع جابر

- الهذا تبكين ؟

- أجل يا امى ، فللمرة الثانية يقتلنى أبى

- ولكن جابر ليس كمصباح

- هذا دميم وهذا ثقيل الظل .. اننى مثل الحيوان الذى يفعل به صاحبه ما يشاء

- مهما كانت الأمور فان جابر أفضل من مصباح شكلاً

- قد يكون أسوأ موضوعاً

- وهل عاشرتيه حتى تعلمى هذا ؟

- ياهٍ على يا أمى .. أنك لن تستطيعى أن تفعلى شيئاً لقد قرر أبى وأنتهى الأمر , وما علينا الا القبول سواء رغبنا أم لم نرغب .

- مسكينة انت يا ابنتى , لعل الله يعوضك بجابر خيراً

- قلبى يحدثنى سوف أذوق المر مع جابر

- لا تقدمى سوء الظن يا ابنتى

- ليس سوء ظن , ولكنه شعورى واحساسى

- قد يكون خاطئاً

- وقد يكون مصيباً , وأغلب الظن أنه مصيب

- لعل الله يجعل لك الخير مع جابر

- وحتى لو كان جابر كما تظنين , فأنا لست راضية به .. وأكاد اجن مما يحدث لى

- أن شاء الله سيكون خيراً .. تفاءلى يا ابنتى

- يا أمى .. يا أمى .. أبى يذبحنى ولا يرحمنى

- سوف يعوضك الله خيراً .

أشاع جابر خطوبته لنعايم , متعمداً أن يعلم الجميع بذلك, حتى يقطع خط الرجعة على غيره , ولا يتقدم أحد غيره لخطوبتها , كما أنه تأكيد لذلك , كان يذهب كل ليلة إلى منزل نعايم حاملاً بعض الهدايا فمرة يحمل بعض عيدان القصب , وتارة أكياس اللب والفول السودانى , واخرى بعض قراطيس الشاى والسكر , وكانت نعايم ترفض أن تتناول شيئاً منها .

حضرت سعدية فور سماعها نبأ خطوبة نعايم , ارتمت نعايم فى حضنها باكية , وقالت لها

- الم أقل لك ان جابر يحوم حول ابى ويكاد لا يفارقه حتى تم له ما أراد ؟

- لم اكن اتصور أن جابر بهذا الخبث

- أرجو ان تسرعى بمقابلة محمود وتضربى معه موعداً لمقابلتى

- وما الذى سوف تقوليه له ؟

- سوف نبحث عن حل لهذه الكارثة

- لقد قرأ ابوك الفاتحة وارتبط مع جابر

- قد يجد محمود حلاً فأنا كالغريق الذى يبحث عن قشة يتعلق بها

وفعلاً أسرعت سعدية لمقابلة محمود وطلبت منه موعداً يلقى فيه نعايم عند الصفصافة .. حدد لها محمود الموعد وعندما التقى محمود نعايم ، بكت وقالت له :

- الم اقل لك أذهب بوالدك وقابلاً أبى قبل ان يسبقكما أحد
- قال أبى أنه من اللائق أن ينتظر حتى توفى عدتك , ولم نكن نعلم ان جابر يلح على أبيك كل هذا الالحاح
- أرجو يا محمود أن تأخذ أباك وتقابلا أبى , فقد يعدل عن رأيه , فنحن مازلنا على البر
- سوف أفعل
- أرجو أن يكون ذلك سريعاً
- أجل أن شاء الله

اسرع محمود إلى والده قائلاً

- هل سمعت يا أبى أن جابر الحلاق خطب نعايم ؟
- سمعت ذلك يا ابنى اليوم
- ألم أقل لك يا والدى أن نبادر بخطوبتها ؟
- لم أكن أتصور أن جابر بهذا الخبث والمكر

- فلنجرب الذهاب لعم صالح والحديث معه فى أمر نعايم

- لا يا ابنى , لا فائدة من ذلك

- أرجو يا أبى فلنحاول .

- لقد سبقنا جابر , وأصبح صالح مقيداً بالوعد

- قد يغير عم صالح من رأيه

كان والد محمود يعلم ما يكنه قلب ابنه من حب نعايم وأراد أن يرضى ابنه ويحقق له رغبته واستجابة لطلب أمه واخيه فقال .

- نذهب يا بنى انشاء الله , ونحاول , ولكن لتعلم أن أى رجل من قريتنا لو قرأ الفاتحة على أمر فإنه لن يعدل عنه وإلا تعرض لمجلس عرفى يقضى عليه غرامة كبيرة قد لا يستطيع دفعها او الوفاء بها , عند إذن يضطر للوفاء بوعده

- وما العمل يا ابى ؟

- لا تحمل هماً , إذا وافق صالح سوف أقوم بدفع الغرامة .

- أشكرك يا أبى ولا يحرمنى الله منك

فى المساء اصطحب الاب ابنه الى منزل صالح , وبعد ان جلس معه فترة من الوقت فاتحه فى أمر خطوبة نعايم لابنه محمود . قال صالح :

- لقد تأخرتما كثيراً , فقد قرأت فاتحتها مع جابر الحلاق . ألم تسمعا بذلك ؟

- ولكنها مازالت فى أيام العدة ؟

- أجل , لقد خطبها وقرأ فاتحتها لحين انتهاء عدتها

- لا تنسى أن جابر سبق له الزواج أما محمود فمازال أعزباً

- لقد اوقعتنى فى حيرة يا رجب . كيف الخلاص ؟ لا يرضيكما أن أخل بوعدى مع جابر وأتعرض لمجلس عرفى وغرامة لا أستطيع دفعها .

- لا تحمل هماً , وافق وسوف أتكفل أنا بدفع الغرامة

- أنا أعد محمود ابنا لى , وكنت . اتمنى لو كانت المبادرة لكما وليس لدى مانع , ولكن كيف ستسير الأمور ؟

- سوف أذهب الى شيخ البلد , وأعرض عليه الأمر وأطلب منه التدخل لدى جابر وسوف أدفع لجابر مقدار الغرامة

- أفعل ما شئت يا حاج رجب

كان محمود ونعايم فى غاية السعادة , فقد عاودهما الأمل , وكاد محمود ان يقبل قدم أبيه اما نعايم فقد أحست أن الدنيا لا تتسع لفرحتها من الامل الذى راودها من جديد

ذهب الحاج رجب الى الحاج شلبى شيخ البلد وقص عليه الأمر كله , وطلب منه التدخل لدى جابر لتحديد ما يرغبه من غرامة .

ارسل الحاج شلبى رسولاً الى جابر يطلبه لمقابلته وعندما جاء جابر رجاه الحاج شلبى أن يتنازل عن خطوبته لنعايم , ويطلب ما يريده من عوض . إلا أن جابر رفض رفضاً تاما التنازل عن وعد صالح له ولو دفع له كنوز الأرض وعندما جاء الحاج رجب ليعلم نتيجة مسعاه اخبره بما قاله جابر فاسقط فى يده وعندما علم محمود ونعايم بذلك , أصابهما الوجوم والحسرة .

عندما خلا جابر بنفسه هز رأسه وقال مخاطباً نفسه

- أهلاً يا صالح أتريد أن تتخلى عن وعدك لى ؟ سوف ألقنك درساً لن تنساه

★★★

ذهب مصباح مع عمه لمنزل عبدالبر والد سعدية , ليحددا ميعاد عقد القرأن والدخلة , وقال صالح لعبد البر :

- انت تعلم أن مصباح لا ينقصه شئ , فجهازه فى منزله تام وجديد فقط عليك أن تجهز سعدية

- امهلانى اسبوعين أو ثلاثة حتى اتمم لها ما يلزمها

قال مصباح

- انا كافل بأية مصروفات تحتاجها سعدية وأن شاء الله سوف يكون زفافها " بالصفرتية " والطبل البلدى "

- لك ماشئت يا بنى

- على بركة الله

جلس مصباح على المصطبة أمام دار عمه ومعه عمه صالح وزوجته وابنته نعايم. قالت له زوجة عمه :

- مبروك يا مصباح

أجابها :

- بارك الله فيك يا زوجة العم

وقالت نعايم :

- مبروك يا مصباح

قال مصباح

- أسعيدة أنت بذلك يا نعايم ؟

- قطعا يا مصباح , فانت أخى وابن عمى , وسعدية بمثابة أختى وأنت تعلم هذا وأتمنى لكما السعادة

- أجل يا نعايم ... أعلم هذا

مرت عليهم – وهم جلوس – (سيارة) من الرجال ينشدون سيرة ومدح رسول الله محمداً , فقد كان الميقات يوم مولده عليه الصلاة والسلام (السيارة عبارة عن صفين طويلين متوازين من الرجال يتشابكون بالأيدى , وأمامهم بعض الشباب يحملون الرايات المسجل عليها أسماء الله ورسوله وبعض الآيات القرآنية) . قال مصباح :

- بهذه المناسبة أود أن أرسل لسعدية بعض الحلوى وعروسة المولد

قال صالح :

- أجل يا ولدى فهو واجب عليك بهذه المناسبة الكريمة

- ولكن الذى يشغلنى من سيحمل الحلوى والعروسة اليها ؟

ردت نعايم مسرعة

- أنا يا مصباح

قال مصباح فى دهشة :

- أنت يا نعايم ؟

- ولم لا ؟ ألست أخى وهى أختى ؟

- بلى يا نعايم .

وفعلاً ذهب مصباح بصحبة زوجة عمه ونعايم التى كانت تحمل على رأسها سبتاً كبيراً الى محل لبائع الحلوى والعرائس , فأشترى عروسة من الحلوى وبعضا من أنواع الحلوى ووضع كل هذا فى السبت الذى حملته نعايم على رأسها وتوجهت به إلى دار سعدية . ولم ينس مصباح أن يشترى بعض الحلوى لعمه وزوجة عمه وابنتهما

كانت نعايم وهى سائرة تحمل الحلوى متوجهة الى بيت سعدية مثار دهشة الناس , زوجة سابقة تحمل هدايا لزوجة لاحقة ولكنهم أكبروا ذلك من نعايم

عندما بلغت أيام العدة منتهاها , أسرع جابر باحضار المأذون والشهود وعقد قرانه على نعايم تم هذا دون أن يقام حفل عرس أو يضاء " كلوب " أو تردد أغنية فان المطلقة لا يكون لها ذلك مثل ما يكون للفتاة البكر

لم يبد جابر ما يكنه من غضب تجاه صالح وانما أسر حقده وغضبه فى نفسه وتعامل مع الامر كأ ن شيئاً لم يحدث .

★★★

فى المساء التالى لعقد القران , حملت نعايم صرة ملابسها وسارت بجوار أمها خلف والدها وجابر , متوجهون الى منزل جابر . لم يشترط جابر أن تحضر نعايم جهازاً كعروس , فقد طلب من أبيها عدم إحضار أى شئ فهو يريدها بملابسها فقط لأن لديه كل شئ , كما أنها لم يكن لديها جهاز فقد تركه أبوها لمصباح قائلاً إن ابنته هى السبب فى الطلاق , وليس من العدل أن يفقد مصباح زوجته وجهازه

دخل الجميع منزل جابر , وانزلت الأم " حلة " كانت على رأسها بها عشاء الزوجين , وقال صالح لجابر :

- لن أوصيك بنعايم يا جابر .. فأنت فى غنى عن ذلك .. هيا بنا يا أم نعايم .

قبلت الأم ابنتها وفى قلبها غصة وانصرفت هى وزوجها , وأصبح جابر ونعايم وحيدين , كانت نعايم تشعر بكأبة لا تدرى مصدرها , أما جابر فقد كان يفرك يده سروراً فقد نال مأربه

وقفت نعايم كالتائهة , فقدت الاحساس بالسعادة او الشقاء وانتابها شعور مبهم وكانها مقبلة على مجهول لا تدرى أن كان سعادة أم شقاء .. مد جابر يده ورفع وجهها الى أعلى وطبع عليه قبلة وقال لها :

- أخيراً يا نعايم أصبحت فى بيتى .. هيا أفرغى العشاء

قامت نعايم فى ذل , ووضعت الطعام الذى اعدته أمها أمام جابر , وبدأ جابر فى الأكل بينما نعايم مطأطئة الرأس , صامته , قال لها جابر :

- هيا تناولى الطعام معى

- ليست بى رغبة

- قلت لك كلى معى , فلن أكل بدونك

مدت نعايم يدها فى تكاسل بينما أقبل هو على الأكل بنهم شديد وبعد أن اتم طعامه قام بدفعها الى السرير دفعاً وهى تجر ساقيها كما لو كانت بدون وعى بل كانت حقاً بدون وعى

فى الصباح قام جابر صائحاً :

- أمازلت نائمة ؟ قومى وانظرى ما وراءك من عمل .

قال جابر كلامه هذا بلهجة شديدة , نظرت اليه نعايم وعلت الدهشة وجهها .. لماذا يصرخ جابر هكذا . ولماذا تغيرت ملامح وجهه إلى هذه الصرامة ؟ وكيف انقلبت رقة الأمس الى شراسة اليوم ؟ ماذا حدث ؟ وساءلت نفسها اهذا جابر الامس؟ لقد كان بالامس يتظاهر بالرقة . اما الان فإنه

يتكلم بجفاء وغلظة. أنقبض قلبها وقامت مسرعة لتعد الافطار لجابر, وهى تشعر بخوف شديد كلما نظرت اليه جلس جابر يأكل بنهم كعادته , ولم يدع نعايم إلى تناول الطعام معه , وما أن فرغ حتى انصرف خارجاً لعمله . فغرت نعايم فاها دهشة , ما الذى يحدث ؟ أن جابر الأمس غير جابر اليوم , أكانت ابتسامته تخفى طبعه اللئيم ؟ أجل ... هذا هو جابر الحقيقى .. هل كانت ابتسامته وسيلة لنيل مأربه فلما تحقق له الفوز بها عاد إلى طبعه الجاف ؟ هذه هى الحقيقة التى بدت مسرعة فى الظهور , ولم يستطع أن يواريها فترة من الوقت , بل ظهرت رغماً عنه .

يا ويلك يا نعايم من هذا الوحش الادمى الذى بدت صورته الحقيقية فى الظهور . وقالت لنفسها : لقد صدق ظنى عندما قلت لامى أننى سوف أذوق المرمع جابر .

سمعت طرقاً على الباب , فاستفسرت عن الطارق أجاب الطارق انه ابوها وامها . توجهت الى الباب لتفتحه فوجدت الباب موصداً من الخارج تعجبت , كما تعجب صالح وزوجته , وطلب صالح من زوجته , ان تعود إلى المنزل ريثما يذهب هو إلى جابر يستطلع الأمر وقد علت وجهه الدهشة

توجه إلى دكان جابر فوجده وحيداً , القى عليه السلام فرد عليه فى فتور, قال صالح

- لقد توجهنا إلى منزلك فوجدنا الباب موصداً من الخارج يا ترى مالأمر ؟

وجلس على دكة موجودة بالمحل , وجلس جابر بجواره وقال

- ياعم صالح , انا لا أحب أن أزور أحداً ولا يزورنى أحد
- ما هذا الكلام الذى تقوله يا جابر ؟
- أقول ما سمعت يا عم صالح
- ولكنها ابنتنا ولسنا " أحدا"
- وأنا زوجها وهذه رغبتى
- لنا حق فيها , أن نراها ونطمئن عليها
- لها أن تزوركم مرة واحدة كل شهر

طأطأ صالح رأسه صامتاً , ولم يتكلم , وانما أنصرف عائداً إلى داره , قابلته زوجته متلهفة لمعرفة الخبر , فقص عليها صالح ما دار بينه وبين جابر قالت الام :

- ما هذا الحظ السئ يا ابنتى الذى يلازمك ما العمل يا صالح ؟

- ليس لنا إلا أن نقبل مشيئة جابر

- وهل نظل هكذا شهراً لانرى فيه ابنتنا ؟

- يكفينا راحتها فى بيت زوجها

- وكيف لنا أن نعرف أنها مرتاحة ؟

- عندما تجئ وتخيرنا أمرها .

إنفجرت الأم باكية , فلا حول لها ولا قوة , أما صالح فقد جلس مفكراً .. لقد خدعه جابر بخبثه وانتابه شعور بأن ابنته قد ظلمت , وبدأ يشعر بلوعة الأب المتلهف على ابنته ولكنه كظم غيظه , فإن ابنته فى بيت زوجها ولا يملك من أمرها شيئاً , وكل ما عليه أن ينتظرها كل شهر يراها ويسمع لها , وعندئذ يفعل الله ما يشاء .عاد جابر إلى منزله . سألته نعايم :

- لماذا أغلقت الباب من الخارج ؟

- واى شئ تريدينه من الخارج ؟

- لقد جاء أبى وأمى لزيارتى فوجدا الباب مغلقاً

- أعلم هذا , فقد حضر أبوك لدى فى الدكان .

- وكيف له أن يزورنى ؟

- لقد قلت له أن لك أن تزورينهما مرة واحدة كل شهر

- كل شهر ؟

- أجل كل شهر

- أليس هذا وقتاً طويلاً

- اسمعى يا نعايم انا لست كمصباح , لك على أن ألبى لك كل ما تطلبينه دون أن تخرجى , وأما أهلك , فإنك سوف تزورينهم كل شهر وليس لك أكثر من هذا خارج المنزل

صمتت نعايم ولم تتكلم وأدركت أنه لن يتورع عن ضربها إذا مازاد الحديث عن ذلك . فلطالما سمعت عن ضربه مطلقته مبروكة وساءلت نفسها : أيكون هذا ذنب مصباح؟ واقنعت نفسها بأنها لا يجب ان تجادله , تجنباً لبطشه,لا سيما وهى وحيدة فى الدار ولن يدفع أحد عنها أذاه

ذهبت سعدية إلى منزل صالح وجلست مع أم نعايم وقالت لها

- لقد ذهبت إلى نعايم لزيارتها وأبارك لها فوجدت الباب موصدا من الخارج ،وأخبرتنى أنها غير مسموح لها بالخروج ولا أن يزورها أحد

قالت ألام

- اجل يا أبنتى لقد حبسها جابر حتى نحن لم يسمح لنا بزيارتها

- أمعقول هذا يا خالتى ؟

- هذا ما حدث

- أنه غادر ولئيم ، ولكن لماذا فعل هذا ؟

- يبدو أنه يريد الانتقام من عمك صالح

- لماذا ؟

- ألا تعلمين أن شيخ البلد طلب منه أن يحل وعده بزواجه من نعايم ؟

- أعلم هذا ، ولكن هل يصل به الانتقام إلى حد حرمانكم منها ؟

- لقد خدعنا اللئيم

- وكيف تطمئنون على نعايم ؟

قالت

- أنه سوف يسمح لها بزيارتنا مرة واحدة كل شهر

- لك الله يانعايم ، قلبى معك

- أرأيت ما تعرضت له نعايم من ظلم ؟

- ماذا أقول يا خالتى ، لقد غرر جابر بعمى صالح

قابلت سعدية محمود ، وأخبرته بما عليه نعايم من حال، بكى محمود ، وقال لسعدية

- أرأيت يا سعدية مدى الظلم الذى وقع على نعايم ؟
- أنها تقاسى آلاما ليس لها فيها ذنب
- وهل سنتركها هكذا وحدها تعانى ؟
- وماذا فى وسعنا أن نفعل ؟ حتى أبويها لايملكان شيئاً
- أنها فى قبضة وحش أدمى ،كان الله فى عونها

قص محمود على أبويه حال نعايم أخذت الحسرة بهما قال أبوه

- سامحك الله ياصالح على ما فعلته بأبنتك
- لقد غرر به جابر
- أجل ياولدى ،مع أننا نعلم جميعا من هو جاير
- لقد أرتدى قناع البراءة وغرر بعمى صالح
- أجل ياولدى
- ألانستطيع أن نفعل لها شيئاً؟
- لايابنى ، فليس لنا الحق فى أن نتدخل فى شئون جابر فهى فى عصمته

جلس محمود مع أبيه وأمه وأخيه الصغير أحمد قال له أبوه

- يابنى أنى أريد أن أخطب لك فتاة من أسرة طيبة

قال محمود

- ليس ألان يا أبى

- لقد أصبح عمرك خمسة وعشرين عاماً، ويجب عدم الانتظار أكثر من ذلك

قالت أمه

- قول أبيك حق يا محمود ويجب عدم الانتظار أكثر من ذلك

- يا أمى ليست لى رغبة فى الزواج الأن

تساءل أبوه

- ما الذى يجعلك غير راغب الزواج الأن ؟

سكت محمود .قالت أمه

- لقد كان يريد أن يخطب نعايم أبنة صالح

- وها قد تزوجت ،فهل تظل أعزبا طول عمرك ؟

لم يجب محمود . قالت أمه

- يا بنى البلدة مليئة بالحسلن ، بنات ناس طيبين

- أجل يا أمى أعلم ذلك ،لكن ما المانع أن أنتظر فترة من الزمن ؟

- لاداعى للانتظار وأبوك يختار لك فتاة جميلة وعلى خلق ...

- القضية أننى لاأريد الزواج الأن

- يا بنى كفى معاندة ، فنعايم تزوجت وانتهى أمرها ...هذا أذا كنت تنتظرها

- أرجوكى ياأمى نعايم لم تنته من حياتى

صرخت فيه قائلة

- لكنها تزوجت

- أعلم يا أمى

- وماذا تنتظر من سيدة تزوجت ؟

- لاشئ....لاشئ يا أمى ، فقط دعونى بعض الوقت

علق الأب قائلا

- يبدو أنه لافائدة فى الكلام معك فى هذا الشأن

- هل تسمحان لى بالأنصراف

- أذهب يابنى حيث شئت

بعد أن أنصرف قالت الأم للأب

- ما رأيك يا حاج رجب أن تحدث صديقه ربيع أن يفاتحه فى هذا الشأن ويلح عليه

- سأفعل ، وأنت أيضا لاتتركيه ...داومى الحديث معه وألحى عليه دوما حتى يستجيب

- طبعا ياحاج رجب ،حتى نخرجه من حالة حب نعايم

ذهب رجب إلى ربيع بن سليمان صديق محمود وقال له

- ياربيع محمود صديقك وأخوك

- طبعا يا عمى

- أنه يرفض الزواج الأن رغم أنى وأمه نلح عليه أن يقبل الزواج من أى فتاة يختارها

- وما الذى ترانى أفعله

- نريدك أن تقنعه بالزواج

- وهل فى بالك فتاة معينة ؟

- فليختر هو فنحن لا نجبره على فتاة معينة

- يبدو يا عمى أن حبه لنعايم مازال متأججا فى قلبه

- هذا هو الامر الذى يجعلنى راغبا فى تزويجه بشدة

- وهل تظن ياعمى أن زواجه يمحو حبه لنعايم ؟

- أجل ياولدى ... عندما يتزوج وينجب أطفالا سيجد نفسه متخلصا من هذا الحب اللعين

- سأفعل ياعمى إن شاء الله

- نحن نعتمد عليك كثيرا ، فلا تتركه حتى يستجيب لك

جلس ربيع مع محمود وقال له

- يا محمود لماذا لاتطع أباك وتقبل الزواج ؟

- وهل فاتحك أبى فى هذا الشأن ؟

- طبعا ، أن أباك وأمك يكادان أن يجنا

- لقد أخبرتهما الأنتظار فترة من الوقت

- ولم يا محمود ؟

- أنت تعلم أن حب نعايم فى قلبى حتى الأن ، ولم أتخلص منه

- وماذا بعد الانتظار ؟

- وماذا لو انتظرنافترة آخرى
- أظنى يامحمود ، أن الزواج الأن هو العلاج الشافى لحالتك
- الحب ليس له علاج كما تتوهمون ،قد يخبو ولكنه لايموت
- على الاقل أن الزواج سوف يقلل من تأججه
- لايارببع دعنى الأن أرجوك ولاتحملنى مالا أطيق
- معنى هذا أن لافائدة ؟
- أجل ياربيع

ذهب ربيع إلى الحاج رجب ، واخبره أنه حاول مع محمود بكل الوسائل إلا أنه لم يستجب له ورفض رفضا باتا فكرة الزواج الأن ولا بد من الأنتظار فترة من الوقت

علق الأب قائلا : الامر لله من بعد ومن قبل ، فلننتظر

الفصل السادس

جلست نعايم تفكر فى حالها وما وصل إليه , فلقد تركت مصباح لتقع فى يد جابر .. لقد كان مصباح مسالماً رغم دمامته , وكان يحاول أن يرضيها بكل الطرق , يخطب ودها ويعاملها بالمعروف ولم يسىء إليها يوماً .. دمامته لا ذنب له فيها قلبه طيب وحتى عندما طلبت الطلاق أستجاب لها ولم تجد منه مقاومة لرغبتها .. إنها تعرف كل هذا لكن ماذا تفعل فى عواطفها التى لم تقبله زوجاً ؟ هى ايضاً لا ذنب لها ان عواطفها لم تتحرك تجاه مصباح بالايجاب وها هو جابر فى أول حياتها الزوجية يبدو فى صورته الحقيقية , خبث وغلظة فى الطبع وغيرة عمياء , رغم ما يعلمه عن عفتها وطهارتها .. يكفى أنه عندما حاول مغازلتها – قبل زواجه منها – لم يجد منها استجابة , وساءلت نفسها : أيكون هذا الذى وقعت فيه مع جابر هو ذنب مصباح ؟ قالت لنفسها . يارب انا لم ارتكب اثماً ولا ذنباً , وأطعتك ولم أعصك .. انا لم اخطء فى حق أحد تعبت من التفكير واسلمت امرها لله .

مرت عدة أيام اصطحب مصباح أحد أصدقائه وذهباً إلى البندر حيث اتفقا مع فرقة " الصفرتية "

وفى يوم الاتفاق حضرت الفرقة منذ الظهر – كما طلب ذلك منهم مصباح – وبدأت فى الصفير ودق الطبل أمام منزل مصباح وكان قد اشترى عجلاً صغيراً وقام بذبحه واستأجر أحد الطهاة ليقوم باطعام الضيوف وكل عابر سبيل .. , وكان يوماً لم تشهد له القرية مثله الا قليلاً .. الناس يأكلون وفرقة الصفرتية تعزف أمام المنزل والشباب والصبية يرقصون الى ان جاء وقت المغرب أضئ منزل مصباح بالكلوبات , وكذا منزل والد سعدية ولما كان وقت صلاة العشاء ذهب مصباح فى معية بعض أصدقائه الى منزل والد سعدية , ويسحب خلفه حصاناً استأجره لتركيب عليه العروس عند ذهابها إلى داره بصحبة الطبل البلدى .. وما أن وصل مصباح إلى منزل سعدية وكانت جالسة على كرسى من الخشب تحوطها صاحباتها وهن يغنين ويزغردن . أمسك بيدها فقامت معه , واصطحبها خارجاً وسط هذا الخضم من الشباب والشابات , وأركبها الحصان , وساربها يتقدمه الطبل البلدى والصفرتية , حتى وصل إلى منزله , فانزلها من على الحصان وادخلها داره , وأجلسها على كرسى من الخشب وسط الدار , وأحاطتها صاحباتها يصفقن ويغنين .. أما

هو فقد خرح ليرحب بزائريه ويوزع عليهم أكواب الشربات وقد امتلأ المكان عن اخره بالناس فقد سارع أهل القرية إلى الفرح حتى لو لم يكونوا مدعوين

ولما كان منزل مصباح مجاوراً لمنزل جابر , فان نعايم سمعت كل هذا الضجيج . وأطلت من الطاقة " وشاهدت مصباح وهو ممسك بلجام الحصان , ثم يقوم بانزال سعدية وادخالها داره قالت لنفسها كان يجب ان أكون مع سعدية فى هذا اليوم فلطالما حملت همى , ألا أشاركها فرحتها ؟ ولكنها لم تطلب من جابر ذلك خوفاً من بطشه

وتساءلت أيضاً لماذا فعل مصباح كل هذا ؟ هل يكون نكاية فيها ؟ لا .. انها لا تعتقد هذا , فان مصباح رغم ما حدث منها لا يمكن أن يكون شامتاً فيها .. إنها تعتقد أن ما فعله هو تعبير عن فرحته بسعدية , ومحاولة إسعادها لرضائها به زوجاً لها .

انتهت ليلة الدخلة وانصرف المدعون , وخلا مصباح بسعدية , قال لها :

- ارجو أن تكونى سعيدة , فقد فعلت كل ذلك إرضاءلك
- انا راضية يا مصباح
- أرجو الله ان يقدرنى على اسعادك

كانت القرية لا حديث لها إلا عن فرح مصباح , فلم تشهد القرية مثله إلا من أكابر البلدة وتحاكت الفتيات مبهورات بهذا الفرح

قالت احداهن :

- إن مصباح فعل كل ذلك ليسعد سعدية , مكافأة لها على قبولها زوجة له .

وقالت أخرى :

- أنه يحاول أن يغطى على دمامته .

وقالت ثالثة :

- ولماذا لا يكون قد فعل هذا نكاية فى نعايم ؟

أما الرابعة فقالت :

- فى كل الأحوال ما أسعدك يا سعدية

وقالت الأخيرة :

- ولماذا لا تقولين يا لسعدك يا مصباح , فقد تزوجت بسعدية الجميلة , وأنت المسخ البشرى

★★★

مر شهر ... اصطحب جابر نعايم إلى منزل والديها لزيارتهما , غير أنه رفض الدخول وقال أنه سوف يعود بعد ساعتين .

تعانقت الأم والأبنة , وقبلت نعايم يد أبيها , وجلس الثلاثة فى شوق يحسه الأب والام تجاه ابنتهما , والأبنة تجاه والديها . قالت الأم :

- كيف حالك يا ابنتى ؟
- الحمد لله على كل حال
- أيعاملك جابر بجفاء ؟
- هذا طبعه وعلى أن أقبله

هذا بينما الوالد صامت يسمع حوار الأم وابنتها وقد احس بالذنب تجاه ابنته . ثم قال

- كل شئ له نهاية يا ابنتى , وعسى أن يتغير طبعه على مر الأيام

هنا انفجرت نعايم قائلة فى جرأة من الكبت الذى تعانيه :

- أية نهاية يا أبى ؟ هذا طبعه ولن يتغير إلى أن يموت و هل يرضيك يا أبى ان اظل اعانى طيلة حياتى ؟ ما ذنبى أن اقضى شبابى فى عذاب دائم

ثم سكتت فجأة . ساد الصمت الجميع برهة وكأنما كانت تستريح بعد مجهود شاق . ثم اردفت قائلة :

- طالما هذا يرضيك يا أبى فأنا راضية .

قال الاب في لهجة شقاء ويأس :

- ابدأ يا ابنتى لا يرضينى شقاؤك , لكن ماذا أفعل وقد أصبح جابر زوجاً لك .

- يفعل الله ما يشاء .

سمعوا طرقاً على الباب , قال الأب :

- من الطارق :

قال الطارق

- أنا محمود رجب

قام صالح لملاقاته وجلسا سوياً على المصطبة . لم يكن محمود يعلم بوجود نعايم . قال صالح :

- اعدوا لنا كوبين من الشاى .

قال محمود عندما وجده ينادى بصيغة الجمع :

- هل فى الدار أحد غير والدتى الحاجة ؟

- اجل انها نعايم جاءت تزورنا

أحس محمود بسعادة تغمره , وشعر بريح نعايم تهب عليه . فتغمره بالنشوة , وتمنى لو يراها حتى ولو لحظة واحدة , او يكلمها حتى ولو كلمة واحدة .

اخرج محمود لفة من النقود , وناولها صالح وهو يقول

- أبى يهديك السلام ويرسل إليك ثمن القمح

- ولماذا العجلة يا ولدى ؟

- إن الحقوق يجب أن تؤدى لأصحابها بسرعة .. استميحكم اذنا

- لا ياولدى لابد لك ان تنال تحيتك

كان محمود – فى قرارة نفسه – لا يود الأنصراف , فقد شم رائحة حبيبته , ومنىّ نفسه بنظرة منها , فجلس منتظراً فرصة لرؤياها , وحتى لو لم يرها فيكفيه وجودها بالداخل , وكأنه يحس برائحتها فيجد فى ذلك سعادة ونشوة

أحست الأم – بغريزة الانثى – لهفة نعايم على رؤية محمود , فأعدت الشاى وقالت لابنتها

- انهضى وقدمى الشاى لابيك

تناولت نعايم صينية الشاى من أمها , وذهبت بها إلى المصطبة حيث يجلس ابوها وحبيبها , وناولت الصينية لأبيها وهى تقول :

- سعدت مساء يا محمود .

رد محمود التحية عليها وقلبه يرقص طرباً , عادت نعايم إلى أمها وجلست بجوارها , تتلصص النظر إلى محمود , ومحمود يحاول اختلاس النظر إليها .

فجأة حضر جابر , فوجد محمود جالساً على المصطبة مع صالح , فانتابه الغيظ , وبدون أن يلقى التحية صاح

- هيا يا نعايم ..

قامت نعايم صادعة للامر مودعة أمها بالعناق والدموع فى عينيها , بينما قالت الأم موجهة كلامها الى جابر .

- الوقت مازال مبكراً يا جابر , دعها بعض الوقت .

قال جابر

- كفى فأنا مشغول , هيا يا نعايم .

انصرفت نعايم مع زوجها الذى لم يفه بكلمة وداع . كانت تسير مع جابر فى ذل وانكسار وكأنها ذاهبة إلى السجن .

قال محمود لصالح

- مالذى أغضب جابر كل هذا الغضب يا عم صالح ؟

كان صالح يعرف السبب – وهو وجود محمود – لكنه قال

- لا اعرف يا بنى
- هلى حدث خلاف بينكما أو بينه وبين نعايم ؟
- كل شئ على ما يرام ولم يحدث شئ.

ما أن دخل جابر منزله حتى صاح فى نعايم ..

- ما الذى جعل محمود يحضر طرفكم هذه الليلة ؟
- لا ادرى يا جابر فلعل بينه وبين أبى امور تتعلق بالعمل .
- اسمعى يا نعايم .. بعد الآن لن تذهبى إلى منزل والدك

قالت بذل

- لماذا يا جابر ؟ ماذا فعلت ؟
- هذا قرارى
- ولكن لم أفعل شيئاً يغضبك
- لا داعى للمناقشة , انتهى الامر .
- وكيف أرى والدى ؟
- يحضران اليك مرة كل شهر لمدة ساعتين

اسقط فى يدها , فمعنى هذا انها ستظل حبيسة داخل منزل جابر . القت بنفسها على الفراش باكية فى صمت .. ولم يغمض لها جفن طوال الليل , ولم يفارق خيالها طيف محمود ونظراته إليها رغم ما بها من حزن وغطى احساسها بنشوة نظرات محمود على حنقها وغضبها من جابر , وما هى فيه من شقاء .

أما محمود فقد عاد الى منزله والقى بنفسه على فراشه وراح يستعيد نظرات نعايم له , وعينيها الجميلتين , وهما تنظران اليه خلسة وفى خفر , ثم ترتدان مسرعتين . ولم يدر لماذا أحس بكل هذه النشوة رغم علمه ان نعايم متزوجة ولكنه رغم كل هذا أحس بأمل غريب يداعب خياله ... امل لا يدرى ما هو .

★★★

فى الصباح صعدت سعدية سطح الدار لبعض شئونها فوجدت جابر وكأنه كان ينتظرها .. القى عليها جابر تحية الصباح , فما كان منها الا أن بصقت تجاهه , وولت هابطة السطح .. كانت تكن لجابر كرها عميقاً , فهو الذى سرق نعايم من محمود , وحطم بذلك قلبين ينبضان بالحب وهاهو بكل صفاقة , يحاول مغازلتها .

هبط جابر إلى اسفل الدار , فوجد نعايم تقوم بشئون المنزل . صاح فيها قائلاً :

- " أعلم أنك وسعدية صديقتان حميمتان ولكن ذلك كان قبل زواجك منى والداران الان سطحاهما متلاصقان , ولا يكاد يفصلهما شئ , وأنا الأن أحذرك .. , أياك أن تلتقى بسعدية اوتحادثيها

نظرت إليه نعايم فى ذل ويأس , ولم ترد بينما استطرد

- أنا غير مصباح , ولابد لكلامى أن يطاع

تمتمت نعايم :

- ليتك كنت مثله

قال جابر :

- ماذا تقولين ؟

- أجل سوف افعل أن شاء الله

★★★

عندما عاد مصباح من عمله , قالت له سعدية بعد أن تناول طعامه وشرابه

- لى عندك رأى أود أن اقوله لك .

- سوف ينفذ فوراً يا سعدية , ما هو ؟

- أن دارنا ودار جابر الحلاق متلاصقتان , ولا يكاد يفصلهما شئ ,

وهذا لا يجوز , فأرجو يا مصباح أن تقيم جداراً فاصلاً بيننا وبينه .

- فعلاً لك كل الحق . من الغد سوف اكلف احد البنائين بإقامة جدار يفصل بيننا وبينه .

فعلاً كلف مصباح احد البنائين , الذى بنى جداراً فاصلاً بين منزله ومنزل جابر تعجبت نعايم من إقامة الجدار الفاصل بينهما وبين سعدية , وظلت تفكر . ما الذى دعا مصباح وسعدية إلى اقامة هذا الجدار؟ ايقنت أن سعدية هى التى طلبت من مصباح ذلك , ولكن لماذا ؟ إنه من المؤكد أن جابر حاول مغازلتها فأرادت أن تسد عليه الطريق كما حاول قبلاً منها قبل أن تتزوجه .

ازداد كرهها لجابر , رغم إنها لم تتحدث معه فى إقامة الجدار خوفاً من بطشة . فهو لن يتورع عن ضربها كما كان يضرب مبروكة ولهذا آثرت أن تتجنب هياجه ..

مرت الأيام تمتزج فيها النشوة بالمعاناة, النشوة من طيف محمود الذى يلازمها , والمعاناة من جفاء جابر وغلظته ومحبسه الذى تعيش فيه .. طيف محمود الذى يراودها دائماً , وهو الذى يهون عليها ما تعانيه .

أخيراً وجدت نفسها تكاد تختنق , وأنها لا تستطيع الأستمرار فى هذه المعاناة , فقد أصبحت لا تطيق العيش مع جابر , ولا بد أن تجد حلاً يجبر جابر على الطلاق ولكن ما هو هذا الحل ؟

كانت لا تجد من تشكو اليه أو يشاركها التفكير, كانت سعدية هى ملجاها وملاذها , وكانتا تتشاروان فيما يجب عمله , أما الآن فهى وحيدة بعد أن اقام مصباح جداراً بين المنزلين

أخيراً وجدت الحل , قامت إلى حاجاتها وجعلتها فى صرة وأخفتها عن جابر , حتى إذا ما كان الصباح , انتهزت فرصة انشغاله فى تناول افطاره وهربت من المنزل قبل أن يفرغ من طعامه , ويخرج ويغلق الباب دونها .

بعد أن تناول جابر طعامه , نادى على نعايم فلم يسمع إجابة فقام بالبحث عنها فلم يجدها ,, ووجد باب الدرا مفتوحاً , , فأيقن أنها هربت إلى منزل والدها فهرول مسرعاً إلى منزل صالح

سارت نعايم إلى منزل والدها وهى تسرع الخطى , وتتلفت خلفها خوفاً أن يلحق بها جابر قبل أن تدخل منزل أبيها , وما أن وصلت باب المنزل حتى دقت الباب بشدة وتعجب أبوها وأمها من الطرق الشديد فهرولا تجاه الباب وفتحاه , فدخلت مسرعة والقت بالصرة على الأرض

. وارتمت فى حضن أمها وهى تبكى . قال أبوها جزعاً

- ماذا حدث يا ابنتى ؟

- لم يحدث شئ لقد هربت من السجن الذى وضعنى فيه جابر

- أضربك جابر ؟

- لا اعطيه الفرصة لضربى , فأنا ألبى له كل طلباته

قالت أمها :

- أهلاً بك يا ابنتى فى حضنى , ولن تعودى إليه ولو انطبقت السماء على الأرض , وليذهب جابر إلى الجحيم

علق الوالد :

- أجل يا ابنتى , كفى إلى هذا الحد .

سمعوا طرقاً شديداً على الباب . قال الأب :

- المؤكد أنه جابر

فتح الباب . دخل جابر هائجاً وصاح

- نعايم تركت الدار

- لاتقل تركت الدار ،بل قل هربت من السجن

- كيف يكون البيت سجنا وكل طلبتها مجابة ؟

- السجناء طلباتهم مجابة فهل يعنى هذا أنهم أحرار ؟

- اذهب وأمرها أن تعود للبيت

- دعها بعض الوقت لتستريح وتهدأ نفسا

- أن هذا ليس فى مصلحتها

- قلت لك أنها متعبة

- أنا لم أخطء فى حقها ويجب أن تعود لمنزلها

- كفى الحاحا ودعها بعض الوقت

زمجر جابر وانصرف وهو يقول

- سأتركها اليوم وأعود اليها غداً

فى الغد حضر جابر ، وكان أهدأ نفسا ، فقد وجد أن الثورة لن تفيد وقد يخسر نعايم ، ولذا لجأ إلى الأسلوب الناعم قال جابر

- ياعم صالح أن البيت مظلم بدون نعايم وكيف أعيش بدونها ؟

- ياولدى قلت لك دعها بعض الوقت

- ليس لها غنى عنى يا عم صالح وليس لى غنى عنها

- أنها تعانى بعض المرض وراقدة فى الفراش

- دعنى أراها

- ليس الأن يا جابر فإن الخير أن تدعها الأن

- وماذا أفعل وأنا لا أطيق فراقها ؟

فطن صالح إلى أسلوبه الناعم وإلى خبثه الذى عانى منه فقال له

- تجلد ياولدى ، فالامر هين أن تدعها بعض الوقت لدينا

- من الممكن أن ترتاح عندى وألبى لها كل طلباتها

- أنها هنا فى رعاية أمها ، وعندما تتعافى سوف تعود إليك هدأ جابر وأنصرف ... بعد أنصرافه قالت الأم لزوجها

- لايخدعك هذا الثعبان

- لقد فطنت إلى دهائه ولن يستطيع أن يخدعنى بعد ذلك

حضرت سعدية مسرعة بعد أن علمت أن نعايم فى منزل والدها وأحتضنتها وهى تكاد تبكى قالت سعدية

- وماذا بعد وجودك فى منزل أبيك ؟

- لن أعود إليه مهما حاول

- وماذا بعد ؟

- سوف أطلب الطلاق
- وهل تظنين أنك سوف تنالين الطلاق فى يسر ؟
- اعلم أنه عنيد وخبيث ،لكنى اتعشم فى الله خيراً
- لقد جاءتك الفرصة لتتخلصى من قيد هذا اللعين
- سوف لاأدعها تفلت منى
- وهل أبوك راض عن الطلاق ؟
- كل الرضا ، فقد عرف جابر على حقيقته
- أذن الله معكم
- لاتتركينى ياسعدية وحدى
- سوف أكون معك دوما
- لاحرمنى الله منك
- أنت أختى يانعايم وتفاءلى خيراً فإن بعد العسر يسرا
- سوف نجد حلا إنشاء الله

بعد عدة ايام لم يستطع جابر أن يدارى غضبه فقد تصور أن اللين سوف يجعلهم يتمادون فى مراوغته لذلك قرر أن يعود إلى طبيعته وأن يتصرف بجفاء ذهب إلى منزل صالح

وبمجـرد أن فتـح لـه البـاب صـاح قائـلا

- أين نعايم ؟

- إنها هنا فى الداخل

- نادها لتعود إلى بيتها

- لن تذهب معك إنها تريد أن تستريح بضعة أيام

- وما الذى أتعبها لدى ؟ إنها فى منزلها معززة مكرمة

- دعها بضعة أيام يا جابرحتى تهدأ نفسا

- وما الذى أتعب نفسها ؟

هنا انبرت نعايم قائلة .

- أنت يا جابر الذى أتعبت نفسى , وأقلقت راحتى

- كفى يا بنت الأصول

- من أفعالك , هل أنت لا تدرى ماذا تفعل ؟ وماذا تقول ؟

- تعلمى الأدب , هل أصبت بالجنون ؟

- لقد ربانى أبى فاحسن تربيتى

- حسناً , مادمتى حسنة التربية هلمى إلى بيتك

- أنا لن أعود اليك اليوم أو غداً

- مامعنى هذا يا حبيبة الروح ؟

- معناه أن تطلقنى .

- اه .. لقد ظهرت حقيقتك , أنت لا تصلحى أن تكون سيدة منزل , ولكنى لست كمصباح

- إنك لا تساوى ظفره

- ولماذا طلقت منه ؟

- هذا ليس من شأنك

- لن أطلقك مهما حدث , وسأتركك معلقة كالبيت الوقف .

- لا يهمنى ذلك

انطلق خارجاً وهو يرغى ويزبد بعد أن يئس من عودتها معه .

الفصل السابع

مرت بضعة أيام كانت الام وزوجها وابنتها يتناقشون فيما يجب عمله تجاه جابر .. إن جابر بيده زمام الأمر , ولن تنال مأربها إلا إذا وافق جابر .. وجابر لن يوافق على ما تريده نعايم .

وأخيراً اتفقوا على أن يوسطوا أحد أقرباء جابر , لعله يرضخ لطلب نعايم , وفعلاً ذهب صالح إلى أحد أقرباء جابر , وطلب منه أن يقنع جابر بطلاق نعايم , وقد فعل الرجل إلا أن جابر رفض رفضاً تاماً هذا الطلب .

أصبحت الأم تحمل من الهموم ما يثقل كاهلها , كانت تشعر بالحسرة على ما أصاب إبنتها من سوء حظ , رغم جمالها , الذى تتمتع به , ووقوفها عاجزة عن أن تفعل شيئاً من أجل ابنتها

نهض الشيخ صالح من نومه , وذهب ليتوضأ ويصلى الصبح , ونهضت نعايم لتعد طعام الإفطار , ثم توجهت لتوقظ أمها فلم ترد عليها .. هزتها منادية فوجدتها شاخصة العين ولا تحرك ساكناً . صرخت : أمى أمى "

حضر أبوها مسرعاً وهز زوجته فاذا بها جثة هامدة . لقد ماتت الأم فجأة .. كان الحزن الدفين على ابنتها وعجزها أن تفعل شيئاً , أصابا قلبها بما قضى عليها .

سرى خبر وفاتها فى القرية سريعاً .. وعندما علم مصباح قال لسعدية

- أتركى أى شئ واذهبى إلى نعايم ولازميها ولا تفارقها , فهى الآن فى أمس الحاجة إليك .

وهرول إلى منزل عمه ليكون بجانبه .. كذلك هرول جابر إلى منزل صالح فور سماعه نبأ وفاة حماته , وقد وجدها فرصة لتهدئة الأمور مع نعايم وليس للقيام بواجب العزاء كما أظهر .

اجتمع الرجال أمام منزل صالح , والنساء داخل المنزل , حيث قمن بما يجب نحو تجهيز المتوفاة للدفن , أما نعايم فقد كانت فاقدة الوعى وهى فى أحضان سعدية

جلس الرجال على حصير مفروش امام الدار , ووقف جابر ومصباح بجوار صالح يتقبلون العزاء , إلى أن ظهر نعش المتوفاة خارجاً من الدار محمولاً على الاكتاف .. سار الرجال بالنعش إلى مثواه الأخير فى مقابر القرية , بينما انهارت نعايم متهاوية فى حضن سعدية

وعندما أقبل المساء جاءت بعض سيدات القرية كل واحدة منهن تحمل على رأسها صينية عليها طعام , وقدمن الطعام إلى الرجال الموجودين فى العزاء أمام منزل صالح يعد أن صلوا المغرب .

أن من عادة أهل القرية إذا مات أحدهم , قام أهل القرية من أقارب المتوفى وأصحابه ومن يريد مشاركتهم بتجهيز صينية عليها طعام يكفى لعدة أشخاص , حيث أن أهل المتوفى يكونون فى حالة لا تسمح لهم باعداد طعام .

جلست النساء بعيداً عن مكان العزاء , حتى إذا ما فرغ الآكلون من طعامهم , قامت النسوة واخذت كل واحدة منهن صينيتها وانصرفن من حيث أتين .

وقف مصباح وصالح وجابر يستقبلون من حضر العزاء , وكان محمود يجلس بين المعزين يعصر قلبه الألم حزناً على نعايم وما هى فيه , وما أصبحت عليه بعد وفاة أمها .

انتهت مراسم العزاء , وأنصرف الجميع , ولم يعد أحد بالدار قال جابر لصالح :

- هل تريد منى شيئاً يا عم صالح ؟

- لا يا بنى شكراً لك،

وجه جابر كلامه إلى نعايم , التى كانت تتشح بالسواد قائلاً :

تجلدى يا نعايم , ألهمك الله الصبر .

ثم أنصرف . شيعته بنظرات كلها كره , وتمتمت قائلة قتلت أمى يا لعين . أما مصباح فقد أصر أن يبيت مع عمه , وأن تبيت زوجته سعدية مع نعايم قائلاً لعمه :

- هذا بيتى وهناك بيتى وسعدية لن تفارق نعايم حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً

ظل جابر يتردد على منزل صالح يومياً , وقد وجد فى وفاة حماته فرصة ومبرراً لإصلاح ذات البين , ولكن نعايم كانت تعامله بجفاء واقتضاب فى الحديث , فقد كرهته أكثر من ذى قبل , إذ وجدت فيه سبباً فى وفاة أمها كمداً وحزناً عليها .

قال صالح لمصباح :

- يا ولدى عليك مباشرة الحقل لأنى أصبحت لا أقوى على العمل , فقد زهدت نفسى الحياة .

- يا عمى كنت سأطلب منك ألا تشغل بالك بأى شئ وما عليك إلا أن تعيش يومك فى راحة وهدوء بال

ذات ليلة كان جابر حالساً مع حميه على المصطبة . وقال

جابـر موجهـاً كلامـه إلى نعايـم

- أما آن الأوان أن تعودى الى منزلك ؟

لم ترد نعايم . قال الاب :

- دعها يا بنى الآن , فليس هذا وقته

ولكن نعايم قالت :

- لا يـا أبـى , يجـب أن يعـرف أنـى لـن أعـود إليـه , فليتركنـى فـى حـالى وكفانـى مـا أنـا فيـه .

قـام جابـر وهـو يتمتـم بـكلام غـير واضـح , وأنصـرف . انفـردت سـعدية بنعايـم وقالـت لهـا :

- واضح أن جابر لن يستجيب لك .

- فليذهب إلى جهنم , لقد كان سبباً فى وفاة أمى

- حاشى لله يا نعايم , إنها إرادة الله

- أن الله جعل لكل شئ سبباً , وجعله سبباً فى وفاة أمى

- ليس هذا هو المهم . ماذا تنوين عمله إذا لم يطلقك ؟

- سأنتظر حتى يقضى الله أمره

كانت نعايم تتنازعها الأفكار , فها هى أمها قد ماتت , وهى التى كانت تشعر فى حضنها بالراحة والحنان , وتنسى كل الآمها وها هو جابر ثقيل الظل يعيد محاولته لصلحها , وهى له كارهة وقد أصبحت الآن وحيدة مع أبيها , وسعدية تلازمها دائماً , لتسرى عنها فقد اصبحت تكابد كره جابر وفراق محمود وموت امها وسعدية تقضى لها حاجة البيت , وهى لا تعرف ماذا سيكون الأمر فى الغد .. انسابت الدموع من عينيها , واسلمت أمرها إلى الله .

بدأ محمود ايضاً يتردد على منزل صالح لمواساته , والوقوف بجانبه ليساعده إذا لزمت المساعدة , الأمر الذى جعل جابر يستشيط غضباً , ويذهب فى المساء لمنزل صالح ويقول له

- الأن أريد زوجتى , لقد مضى وقت كاف على وفاة المرحومة

قال صالح :

- يا بنى أن نعايم فى حالة لا تسمح لها بالرجوع اليك .

صاحت نعايم

- قلت لك يا جابر لن أعود إليك .. لن أعود إليك

- الآن عرفت سر عنادك .. إنه محمود ابن الحاج رجب أليس كذلك ؟

- إخرس ولا تتعد حدود الأدب

- وما سر تردده عليكم ؟

- مثل ترددك علينا , ومثل غيره من الناس .

- إذن خير لك أن تعودى إلى منزلك حتى لا يتحدث عنكما الناس بسوء .

- قلت لك لا تتعد حدود الأدب , أما عن عودتى إليك .فأنى لن أعود إليك أبداً

- وأنا لن أطلقك , لن أطلقك مهما طال عنادك

خرج وهو يدب الأرض برجليه غضباً . كانت سعدية و زوجها مصباح حاضرين اللقاء , وشاهدا حوار جابر مع زوجته وحميه , ولم يتدخلا, فقد فضلاً أن يتركا الأمور لنعايم وأبيها , وتجنباً لإثارة المشاكل مع جابر .

قالت نعايم :

- اية صفاقة يتسم بها هذا الرجل ؟

قالت سعدية

- إنه عديم الإحساس

وقال مصباح

- لم أر فى حياتى إنساناً بهذه الصفاقة وبرودة الدم

علق الاب فى النهاية قائلاً :

- لقد خدعنا اللئيم

جلست سعدية بجوار نعايم وقد وضعت يدها على كتفها فى حنان ومواساة , بينما جلس مصباح بجوار عمه الذى بدا مهموماً محطماً .

قال مصباح :

- لا تهتم يا عمى بكلام جابر , فهو صفيق وفاقد التربية وماذا تنتظر من شخص مثل جابر

- لم أكن أتوقع أنه بهذه الصفاقة وبهذا الخبث .

- حدث ما حدث يا عمى , وكل شئ فى الحياة قسمة ونصيب .. فقط أرجو الا تعيره إهتماماً ولا تعطه أكثر من حجمه .

- انه يابنى يملك زمام إختك , وسوف نجد صعوبة فى الخلاص منه

- ان شاء الله سنجد حلاً .. هيا يا عم لتستريح وتنام .

قام صالح متثاقلاً , وذهب إلى فراشه ونام .وكان مرقد

مصباح بجانبه حيث القى بنفسه على الفراش ونام أيضاً .

فى الصباح الباكر , دبت الحركة فى البيت , فقد قامت سعدية ونعايم لتعدا طعام الإفطار , بينما نهض مصباح وعمه حيث توضآ وصلياً الصبح

بعد أن تناول الجميع طعام الإفطار قال مصباح لعمه :

- لا تجهد نفسك يا عم بأى عمل , فسوف أذهب أنا إلى الحقل وأرى ما يلزم عمله وسوف أعمله , أما أنت فما عليك إلا الجلوس مع أصدقائك

- بارك الله فيك يا ولدى

خرج مصباح متوجهاً إلى عمله بالحقل بينما قامت نعايم وسعدية بتجهيز طعام الغذاء الذى سوف يرسلانه لمصباح فى الحقل . أما صالح فقد خرج للجلوس مع أصدقائه . كان الفلاحون الذين ليس لهم عمل , والمرضى منهم وكبار السن يجتمعون فى منطقة بشمال القرية تحت تعريشة من قوائم النخيل , مسقوفة بالبوص ومفروشة بالحصير , ويقوم على خدمتهم المعلم مبروك , حيث يحتسون الشاى وبعضهم يحكى القصص والذكريات , وبعضهم يتحدث فى أمور الحياة والدين , وآخرون يلعبون " السيجة " (وهى لعبة تشبه الشطرنج)

كان وجود سعدية مع نعايم عاملاً مهماً فى التسرية عنها , فقد قال مصباح لها أن نعايم ليس لها أحد فى الدنيا سواهما , كما أنها صديقة عمرها وبمثابة أختها , ولما كان عمه لم ينجب سواها فإنه لزام عليها أن يعيشاً معاً ويكونان أسرة واحدة , بل هم فى واقع الأمر أسرة واحدة , وقد سألها كيف يكون الحال لو لم يكوناً يعيشان معهما , وكيف تعيش نعايم وحيدة وكيف حال عمه بعد فقد زوجته . وقد علقت سعدية على قول مصباح هذا قائلة :

- كم أنت وفى يا مصباح

قال مصباح :

- إن ما يملكه عمى لنعايم ويجب أن أحافظ عليه .

جلست سعدية أمام " كانون " وجلست نعايم أمام " كانون " آخر يعدان الطعام وهما يتحدثان .فجأة أحست نعايم بتقلصات فى بطنها وأنها تكاد تتقيأ , وشكت بذلك لسعدية , التى وجمت وقالت لها :

- إنها أعراض حمل يا نعايم

قالت نعايم منزعجة :

- حمل ؟ إنها مصيبة لو كان كلامك حقيقاً

- سوف أذهب إلى الحاجة " ستوتة " وآتى بها لتقل لنا الحقيقة .

تركت سعدية ما بيديها من عمل وذهبت إلى الحاجة ستوتة التى حضرت معها , واستمعت إلى نعايم , واخيراً قالت لها :

- أنت حامل يا نعايم

وقع الخبر على نعايم كالصاعقة . صاحت لنفسها .

يا ويلتى أأكون أما لطفل أبوه جابر ؟ أنا اتوق أن اكون أما مثل أى أم تسعد بحملها ووضعها وأمومتها , ولكن لا يكون جابر أبا لابنى .. ألهذا الحد يبلغ شقائى ؟ حتى سعادتى أن أكون أما لا يرى القدر لها أن تكتمل .. رحماك ربى .. إنى سعيدة بالحمل كأى أم , ولكنى شقية بابوة جابر لهذا الطفل القادم .. كم كنت اتمنى أن يكون محمود هو ابوه .. يالشقائى بدلاً من سعادتى .

علم جابر بالخبر , فأسرع إلى دار صالح وجلس معه على المصطبة . وقال له

- إن نعايم الآن حامل ويجب أن تعود لمنزلها

قال الأب

- فى الحقيقة يا ابنى لا أعرف ماذا اقول لك

- قل لها أذهبى إلى بيتك

خرجت نعايم صائحة :

- لن أعود إليك .. أتفهم هذا ؟

- وابنى الذى تحمليه

- عندما ألده خذه , فليست لى به حاجة

- هل هناك أم تلقى بابنها هكذا ؟

- إن كرهى لك يفوق عاطفة الأمومة

- ألاتخافين عليه ؟

- سوف تتم تربيته سواء أخذته أم تركته

- من يربيه سواى ؟

- أنا أربيه

- رغم كل هذا لن أطلقك

ازدادت الأمور تعقيداً بعد أن أصبحت حاملاً , وكان يجب أن تستمر مع جابر حتى تربى وليدها القادم , ولكنها مع ذلك ازداد كرهها لجابر , وأصبحت تعتقد أنه بحملها هذا قد وضع قيداً فى عنقها لا فكاك منه .. ولكنها صممت رغم هذا على الطلاق من جابر وليكن ما يكون .. أما الوليد فإن أمره

متروك لله يفعل به ما يشاء

مرت شهور الحمل , ووضعت نعايم وليدها اسمته " صابر " وسر جابر بالمولود , فقد أعطته نعايم المولود , الذى عجزت عنه مبروكة زوجته السابقة لكونها عاقراً .

ذهب جابر إلى صالح وجلس معه على المصطبة وقال له .

- أليس من الصواب أن تعود نعايم وإبنها لبيتها حتى ينشآ صابر فى منزل أبيه

صمت صالح ولم يرد .. بينما خرجت نعايم قائلة

- لن أعود .. لن أعود .. لن أعود .

- اليس من حقى أن أرى ابنى وأنعم به

- خذه لو أردت فأنا لن أعود معك

- ألهذا الحد تكرهينى ؟

- فوق ما تتصور

- وانا نكاية فيك لن آخذه , فسوف أتركه لك لتربيه , وعندما يشب الطوق سوف آخذه وأنعم به وتحرمى أنت منه .

- ليكن ..

- قام جابر . وأنصرف

الفصل الثامن

فى ضحى أحد الأيام , كانت نعايم , وسعدية يقومان بعمل المنزل , حينما سمعتا جلبة وصراخاً أمام المنزل .. هرولتا نحو الباب تستطلعان الأمر فوجدتا بعض الرجال يحملون صالح ودخلوا به الدار , وأرقدوه فى فراشه وغطوه , وأخبروهما أنه كان يجلس بينهم , وانكفأ فجأة على وجهه فاقد الحركة , وعندما فحصوه وجدوا أن سر الإ له قد فارقه . سقطت نعايم مغشيا عليها , بينما التقطت سعدية الطفل منها قبل أن يقع على الأرض , وأرسلت رسولاً إلى مصباح فى الحقل يطلب حضوره على عجل , وعاد مصباح مسرعاً وعرف النبأ , فجلس على الأرض يبكى كالطفل الصغير , وقد التف حوله الرجال بواسونه . جاء جابر على عجل عندما علم بالنبأ , وظل يلازم مصباح فى كل تصرفاته الى أن، تم تشيع الجثمان الى مثواه الأخير .

بعد إقامة المأتم وإنتهاء المعزين أصبح مصباح وسعدية ونعايم وجابر فى الدار وحدهم . قال جابر :

- البقية فى حياتك يا نعايم

أشاحت بوجهها وأجهشت بالبكاء , وقامت حاضنة طفلها تاركة المكان , فما كان من جابر إلا أن انصرف .

كان مصباح يجلس كل ليلة على المصطبة , يستقبل من يواسيه , وكان جابر دائم الحضور , إلا أن نعايم نبهت على مصباح ألا يدخل جابر الدار , وعزف مصباح عن الذهاب إلى السامر , مفضلاً البقاء مع زوجته وأبنة عمه عن الذهاب إلى السامر وما أن ينصرف الناس ولا يبقى مع مصباح سوى جابر , يتظاهر مصباح بأن النوم يداعبه , ويتثاءب ويقول لجابر :

- شكراً يا جابر وتصبح على خير .
- كنت اريد ان اسأل نعايم إن كانت تريد شيئاً
- إنها لا تريد شيئاً ,ولو أرادت سوف أبلغك

كانت نعايم دائمة الصراخ قائلة :

- قتل أمى , ثم قتل أبى , الدور القادم على أنا .. إنه غراب بين وبومة شؤم .

سعدية تحتضنها قائلة :

- أستغفر الله العظيم , انها الاعمار يا نعايم , وهى بيد الله
- أجل بيد الله , ولكنه السبب .. لا أريد أن ارى وجهه أو أسمع

صوتـه أو حتـى مجـرد أسمـه .

- اهدئـى يـا حبيبتـى فلـن تريـه .. إنظـرى إلى طفلـك فهـو فـى حاجـة لـك , والحـزن ليـس بمفيـد علـى لـبن الرضيـع

مـرت عـدة أيـام توهـم جابـر أن الأمـور أصبحـت اكثـر ملاءمـة أن تتخلـى نعايـم عـن عنادهـا , بعـد أن أصبحـت وحيـدة بفقـد أبويهـا .. صحيـح أن مصبـاح حـل محـل أبيهـا , ولكنـه اولاً وأخـيراً ابـن عمهـا , والمـراة لا غنـى لهـا عـن زوج يؤنس عشـرتها .

فضـل جابـر هـذه المـرة أن يوسـط أحـد أكابـر القريـة فـى الذهـاب إلى مصبـاح ونعايـم محـاولاً إقناعهـا بالعـودة إلى منـزل زوجهـا . ذهـب إلى الشـيخ عبدالحكيـم – خطيـب الجمعـة ومقيـم شـعائر مسـجد القريـة – ورجـاه أن يكـون رسـوله .

ذهـب الشـيخ عبدالحكيـم إلى مصبـاح وجلـس معـه علـى المصطبة . قال الشـيخ

- طلـب منـى جابـر أن أتوسـط بينكـم وبينـه فـى الصلـح , وهـو مسـتعد لتلبيـة رغباتكـم

- الأمر لا يخصنى . ولكنه يخص نعايم

- إذن نادها لنعرف رأيها

خرجت نعايم من الدار حاملة طفلها وهى تقول :

- لقد سمعتك يا سيدنا وشيخنا .. مجيئك يشرفنا ونحن نقدر لك خطواتك التى خطوتها حتى دارنا , ولكنى ومعذرة يا والدى لن أعود إلى جابر .

- إن له منك طفل ومن الأفضل تربيته بين أبويه

- الطفل سوف تتم تربيته سواء كان جابر موجوداً او غير موجود

- اليس الصلح خيراً ؟

- وهل يا سيدنا من الدين الإ كراه فى العشرة ؟ إنى أكرهه ولا أطيقه

- ولماذا تزوجتيه ؟

- كانت رغبة أبى وقد ارغمت عليها . لم تكن لى فيها إرادة

- إذا كان ذلك كذلك فما هو الحل ؟ اتظلان هكذا مفترقين ؟

- يجب أن يطلقنى

- وإذا رفض ؟

- يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

- الأمر لله يا ابنتى

- يؤسفنى يا سيدى الشيخ ألا البى طلبك وقد كان يسعدنى لوجئتنى فى أمر غير ذلك

- قبل أن انصرف , ما الأمر بالنسبة للطفل ؟

- لقد قالها هو قبل ذلك

- ماذا قال ؟

- قال سأدع لك الطفل حتى يشب عن الطوق ثم يأخذه

انصرف الشيخ عبدالحكيم وذهب إلى جابر فى دكان الحلاقة وأبلغه بما دار بينهم من حديث , فأطرق جابر رأسه قليلاً وقال :

- لقد اتعبتك يا سيدنا , فلك شكرى , وسوف أقوم أنا بحل المشكلة

- كيف يا ولدى ؟

- سوف أرى ما افعله .

جلس جابر يفكر ماذا يفعل ؟ إنه لو أخذ منها الطفل فلن يقره أحد على فعلته . ثم كيف يقوم بتربيته ؟ لن يستطيع فخير للطفل أن يبقى مع أمه حتى يكبر ثم ينزعه منها . كما أنها لن تستطيع الزواج طالما هى على ذمته , ولن يطلقها ويجب أن يتزوج بامرأة اخرى نكاية فيها .

وعلى هذا يجب ان يحاول مرة اخيرة للصلح فأن لم يكن

الصلح فليفعل ما انتواه .

ذهب جابر إلى منزل صالح , فوجد مصباح جالساً على المصطبة ،القى عليه تحية المساء ثم جلس بجواره وقال : .

- يجدربنعايم ان تعود الى منزلها
- أرى أن الوقت غير مناسب يا جابر
- ان وجودها هنا لا لزوم له وبيتها أولى بها .

عندئذ خرجت نعايم هائجة فقد سمعت صوت جابر . صرخت قائلة وقد زادها كرهها لجابر جرأة :

- لماذا حضرت . وماذا تريد ؟
- ليس لك الآن سواى يا نعايم , ويجب أن تعودى إلى منزلك
- إنصرف من هنا لا اريد أن ارى وجهك الكريه .
- سآخذك بالقوة
- اخرج والا قتلتك .. لن اتورع عن قتلك
- استطيع أن أضربك وآخذك عنوة
- فى هذه الحاله إما أن تموت أنت أو أموت أنا
- عودى إلى عقلك

- يبدو إنك فقدت الإحساس تماماً .. اذا لم تنصرف فسوف أحضر الفأس وأحطم بها رأسك

- لن يخيفنى تهديدك وسوف أريك ماذا سأفعل .

تدخل مصباح لتهدئة الأمور . قائلاً

- كفى يا جابر واحترم مجلسى . أنصرف الأن وسوف نرى ما يجب علينا عمله

قال جابر موجها كلامه لمصباح .

- إنها زوجتى وليس لك حكم عليها

- انا ابن عمها وفى منزلة أخيها , وأصبحت ولى أمرها بعد وفاة عمى

- إنها مازالت فى عصمتى

صرخت فيه نعايم بجرأة

- الم أقل إنك صفيق وفاقد الإحساس .

- وتجنباً لما قد يحدث غادر جابر المكان وهو يتمتم : سوف أريك من هو جابر

- كانت القرية كلها تعرف أن نعايم لا ترغب العودة إلى جابر وإنها تلح فى طلب الطلاق وهو رافض ذهب إلى أحد فقراء القرية

وطلب منه ابنته , وقد وافق الرجل وتم زواجه فى خلال اسبوعين عرفت بذلك نعايم , فقالت لسعدية .

- الأن آن لى أن أستريح من جابر , فقد يئس من عودتى إليه وهو بزواجه قد نفض يده منى

- يبدو هذا يا نعايم , ولعله يكون خيراً

قالت نعايم ساخرة :

- وهل يأتى الخير من مثل هذا ؟

- أقصد انه قد يعطيك حريتك .

- سوف أرسل له فى طلب الطلاق

- ومن ترسليه

- سأذهب الى الشيخ عبدالحكيم وأطلب منه ذلك

وفعلاً ذهبت إلى الشيخ عبدالحكيم وطلبت منه التوسط فى طلب الطلاق من جابر .ذهب الشيخ عبدالحكيم الى جابر وقال له

- لقد تزوجت يا جابر , فاعط نعايم حريتها

- ابداً .. لا يا مولانا

- عاشروهن بالمعروف وفارقوهن بالمعروف

- وهل فعلت هى معروفاً ؟
- أترضى أن تعيش معك وهى كارهة ؟
- ولماذا تزوجتنى لو لم تكن تريدنى ؟
- أنت تعلم والكل يعلم إنها أكرهت على هذا الزواج .
- كان بامكانها أن ترفض
- لا تستطيع أنت تعرف أن الفتاة لا تعصى أباها
- مع ذلك لن اطلقها
- وهل يرضيك أن تنعم انت بحريتك بينما هى مقيدة ؟
- هى التى تريد ذلك فدعها فى قيدها
- يا بنى هذا ليس صواباً
- ولكنى اراه صوابا

يئس الشيخ عبدالحكيم من اقتناع جابر , فتركه , وذهب إلى نعايم وأخبرها بذلك . وجمت نعايم واكتأبت

كانت نعايم جالسة مع مصباح وسعدية على المصطبة عندما حضر الشيخ عبدالحكيم .. ارتجفت نعايم وأخذت تهذى : قتل أمى ثم قتل أبى .. الآن يريد قتلى .. لا .. لا..

أخذت سعدية الطفل منها وأعطته لمصباح وأحتضنت نعايم قائلة :

- اهدئى يا حبيبتى .. لكل شئ نهاية .

فجأة سكتت نعايم وظلت ساهمة واجمة . قالت لها سعدية :

- مالك يا نعايم ؟

لم ترد نعايم , ثم تغيرت ملامح وجهها وارتعش جسدها وظلت تصرخ وتهذى بكلام غير مفهوم . احتضنتها سعدية وهى تقول :

- مالك يا نعايم ؟ ماذا حدث لك ؟ ردى على .. اجيبينى

بينما أستمرت نعايم فى الصراخ والهذيان .. كانت سعدية تحتضنها ومصباح يربت على كتفها ولم يجد هذا شيئاً فى تهدئة نعايم

تجمع الجيران يستطلعون الأمر , فوجدوها تهذى بكلا غير مفهوم وتصرخ فى عصبية ثم تلعن جابر

لقد أصابها الجنون .. قادها مصباح وسعدية إلى الداخل واغلقا الباب وظلا معها يهدئانها طول الليل , إلى أن أصبح الصبح وخلدت إلى النوم

عندما تتراكم الخطوب على العقل فليس أمامه سوى الجنون .

أعتاد أهل القرية أن يسمعوا صراخ نعايم .. أحياناً هائجة واحياناً هادئة .. ولكن الكلمة الوحيدة التى كانوا يسمعونها بوضوح هى طلقنى يا مجرم .

علم محمود بما جرى لنعايم , فظل يبكى حزناً على ما أصابها .. دخل عليه أبوه فوجده باكياً .. عرف ما يبكيه . قال له :

- انها فعلاً تستحق البكاء يا بنى . إن ما حدث لها كان كثيراً عليها وفوق طاقتها .

- ألم أقل لك يا أبى إنها عاشت مظلومة ؟

- أجل يا بنى .. سامح الله أاباها

كان جابر فى دكانه مع زبائنه . قال أحدهم

- من الخير أن تطلق نعايم , لعل فى هذا يكون شفاؤها

- انا لا اريدها أن تشفى اريدها هكذا مجنونة

قال أحد الزبائن :

- هل قلبك هذا من حجر ؟ أتسعد بشقانها ؟

قال الآخر

- ما الذى تستفيده من جنونها . افعل حسنة واحدة فى حياتك ولا تجعل حياتك كلها سيئات .. ثم إنها الآن أصبحت عديمة الفائدة بالنسبة لك

قال جابر أخيراً: لقد نلت منها مأربى ،وأشبعت رغبتى ولقد صدقت .. إنها الأن اصبحت عديمة الفائدة , بل وأصبحت عبئا لا لزوم له ومن الخير أن يتخلص المرء منه .. أما بالنسبة للطفل فإن سعدية تعتنى به كل العناية كما لو كان ابنها .

وفعلاً طلق جابر نعايم .. وعندما ابلغوها الخبر , ظلت ترقص وتصفق فى هستيرية , الأمر الذى جعل سعدية تحضتنها وتطلب منها أن تكف عن فعلها هذا . وتدخل بها الدار

وقد كان طلاق نعايم سبباً فى بعض هدوئها .. وعندما علم محمود بطلاقها سر سروراً كثيراً , وكلما مر عليها تنساب الدموع من عينه حزناً عليها , فرغم ما أصابها من جنون فان حبه لها لم يتغير .. وقد علمت البلدة كلها بحب محمود لنعايم رغم حالتها , وأصبح ينال شفقتهم وإعجابهم به .

جلست سعدية مع مصباح ونعايم على المصطبة أمام الدار , وكانت سعدية تحمل الطفل فى حجرها بينما نعايم شاردة . قالت سعدية لمصباح

- أريد ان افضى اليك بأمر قد يساعد فى شفاء نعايم

قال مصباح

- اوتعلمين امراً فيه شفاء نعايم وتكتمينه ؟

- كنت ناسية " الأن تذكرته , وهو سر االتمنتنى عليه نعايم , والأن لابد من البوح به

- قولى يا سعدية

- أن نعايم تحب محمود بن الحاج رجب

نظر إليها مصباح فى دهشة قائلاً

- منذ متى ؟

- من وقت طويل , ولكنه حب شريف وأنا شاهدة عليه , وانت تعلم ان نعايم مؤدبة وشريفة وكذلك محمود مؤدب وشريف لأنه ابن ناس طيبين

- أعلم هذا ولو كنت أعلم ما قلتيه ما كنت تزوجتها

- لقد حدث ما حدث

- وما علاقة ذلك بمرض نعايم ؟

- سوف اقول لك رأياً , والأمر فى النهاية لك .

- قولى يا سعدية

- اذا استطعنا أن نجمع بين نعايم ومحمود فإن ذلك قد يكون عاملاً مهماً فى شفائها .

أطرق مصباح قليلاً ثم قال

- الحق ما تقوليه , ولن أتوان عن أمر قد يكون فيه شفاء نعايم ولا أفعله

- انت انسان كريم ورائع يا مصباح

- دعك من هذا .. ولكن كيف نجمعهما ؟

- من الممكن أن تدعو محمود لتناول الشاى معك على المصطبة ونجلس جميعاً معاً , ثم ندعهما يتكلمان مع بعضهما , فان كلام نعايم مع محمود قد بعيد لها هدوءها ,و قد يكون ايضاً عاملاً على استعادتها لذاكرتها , وعودتها إلى ما كانت عليه طبيعتها

أطرق مصباح قليلاً ثم قال

- قد يكون كلامك صحيحاً وسوف أتدبر الامر

الفصل التاسع

تعمد مصباح أن يمر على حقل محمود , فوجده يشدف بالشادوف (الشادوف عبارة عن ساق طويلة من الخشب المتين تعمل على محور من طرفها السفلى الذى تثبت فيه كتلة من الحجر او الخرسانة والطرف الاخر يتدلى منه دلو كبير مربوط بحبل متين , فإذا جذب الفلاح الحبل لأسفل يرتفع الدلو لأعلى مملوء بالماء ليصب فى حوض يبدأ بقناة تخترق الأرض لترويها)وقف مصباح وسلم على محمود وقال له محمود

- كيف حال نعايم ؟
- نحمد الله على كل شئ
- أتمنى من الله الشفاء لها
- حبذا لو شرفتنا اليوم لتشرب معى الشاى
- لك الشكر وان شاء الله سوف البى الدعوة
- اياك والخلف ستجدنى على المصطبة

- سوف أحضر إن شاء الله

كان محمود فى غاية السعادة , فقد واتته الفرصة التى كان يتمناها فقد تتيح له الظروف اللقاء بنعايم والتحدث إليها , ولم يكن يدرى ما يكنه مصباح . فى المساء ذهب محمود إلى منزل نعايم ومعه قرطاسين من السكر وقرطاس من الشاى , فوجد مصباح جالساً على المصطبة مع سعدية ونعايم. ألقى عليهم تحية المساء ثم جلس معهم . قال مصباح

- أرجو ألا نحضر معك شيئاً بعد ذلك

تحدث معهم بود .. وجه كلامه إلى نعايم

- كيف حالك يا نعايم ؟

لم ترد عليه نعايم , فقال لها

- انا محمود يا نعايم .. الا تعرفينى ؟

حملقت فيه نعايم ثم قالت :

- لقد تذكرتك , أنت محمود

- الحمد لله

كانت سعدية ومصباح يتابعان حوارهما باهتمام شديد , وطلب مصباح من محمود ان يأتيهم كل ليلة ليتسامر معهم

بشرط ألا يحضر معه شيئاً الشاى والسكر وخلافهما . فهم محمود ما يرميان إليه وكان فى هذا سعادة بالغة له, إذ أنه سوف يشاهد نعايم ويجلس معها ويحادثها , بالاضافة إلى أنه سوف يساهم فى علاجها .

كانت سعدية تعد الطعام فى معظم الأيام وتضعه فى " المشنة " وتحمله على رأسها وتذهب به إلى مصباح فى الحقل مصطحبة نعايم , والطفل على صدرها تسنده بيد والمشنة باليد الأخرى وعند العودة يلقاهما محمود عند الصفصافة وتترك لهما سعدية حرية الكلام

قال محمود لنعايم :

- كيف حالك يا نعايم ؟

- الحمد .. لله

- تذكرى يا نعايم .. أنا محمود , حبيبك , وهذا عشنا الذى كنا نتقابل فيه وشهد ذكرياتنا .. تذكرى أرجوك يا نعايم

نظرت اليه نعايم فى شرود ولم تتكلم . قال محمود

- انظرى إلى يا نعايم .

ركز محمود نظراته فى عينيها وقال .

- انظرى إلى يا حبيبتى , فلطلما نظرتى فى عينى

لم تتكلم نعايم . قالت سعدية :

- كفى هذا اليوم , وهيا بنا حتى لا نتأخر .

بدأت نعايم تهدأ فترات طويلة , لا تهتاج فيها ولا تصرخ . بدت صامتة وقتا طويلاً ولا تتكلم وتظل شاردة . لاحظ الناس كثرة تردد محمود على مصباح والجلوس معه على المصطبة بصحبة نعايم وسعدية , وعندما علم جابر بما يفعله محمود قال بتهكم :

- فليهنأ بالمجنونة لقد أصبحت كالجثة لا روح فيها

اما والد محمود فقد قال له :

- يا بنى أن الناس يتحدثون عن جلوسك كل ليلة مع مصباح وزوجنه وابنة عمه , وأخشى أن يظن الناس بك الظنون

- أنا يا أبى اجلس على المصطبة مع مصباح وسعدية ونعايم ولست وحدى وامام الرائح والغادى .

- الناس لها الظاهر

- انت تعلم يا والدى مدى حبى لنعايم , ولا أسمح بما يمسها بسوء

- أعلم هذا يا ولدى , ولكن الناس السنتهم طويلة

- فليذهب الناس الى الجحيم , إن جلوسى مع نعايم وحديثى معها قد يعيد لها ذاكرتها .

- وهل يعرف الناس ذلك ؟

- لا يهمنى .. يكفى أن مصباح وسعدية هما اللذان طلبا منى ذلك .

- اتقول أن مصباح وسعدية هما اللذان طلبا منك ان تجلس معها وتحادثها ؟

- أجل يا والدى , وأنا اجلس معها , ومعهما وقد بدأت بالفعل تهدأ كثيراً وتستعيد بعض ماضيها

أشاع جابر أن نعايم تحب محمود , وأنه عندما تزوجها لم يكن يعرف ذلك , ولما منعها من الخروج من الدار لم تحتمل وهربت إلى منزل أبيها , وأن محمود هو السبب فى جنونها

قال له احد زبائنه عندما كان يحلق له شعره

- ما دمت تعرف ذلك فلماذا كنت مصراً على عدم طلاقها

- فى النهاية كنت سأطلقها , لكنى فقط كنت اريد أن أعلمها الأدب ما دام أبوها لم يقم بذلك , كما كنت اود أن اجعلها تعانى قليلاً .

- وماذا كنت تستفيد من معاناتها

- نوع من الأدب لها

علم محمود بما قاله جابر , ففكر مليأ , وقرر أن يضع حداً لظنون الناس وأكاذيب جابر . جلس مع اسرته وقال موجهاً كلامة لأبيه – وكان قبلاً قد طلب من أمه وأخيه مساندته

- يا أبى .. لى رجاء عندك وأرجو أن توافق عليه

- ما هو يا بنى ؟

- أن اتزوج نعايم

صاح فيه والده

- اتتزوج مجنونة ؟

أجاب محمود :

- أجل يا أبى .. نعايم مريضة وليست مجنونة

- أن الجنون مرض .. كيف تتعامل معها ؟

- انا كافل بها وقادر على أن أسوسها .. أرجوك يا أبى وافق

- أخاف عليك منها

- إنها لم تؤذ أحداً , فكيف تؤذينى ؟

- وماذا يقول الناس ؟ تزوج مجنونة

- فليقولوا ما يشاءون .. لا يهمنى قولهم .

- صدقنى إنها مريضة وقد يطول مرضها وقد لا تشفى

- صدقنى يا أبى إن ما اصابها من جنون كان بسبب ما عانته من مصباح وجابر ووفاة أمها وابيها .. إن كل ذلك لأمر يذهب بالعقل إلى الشتات .

تدخلت أمه وأخوه , ورجيا الحاج رجب أن يوافق إرضاء لمحمود , وأخيراً وافق رجب أمام الحاح الجميع .

فرح محمود , وذهب مسرعاً إلى مصباح وسعدية ونعايم ووجدهم جالسين على المصطبة فى إنتظاره كعادتهم . جلس محمود قليلاً ثم وجه كلامه إلى نعايم :

- اتتزوجينى يا نعايم ؟

نظرت إليه فى شرود , وذهل مصباح وسعدية . قال محمود مؤكداً كلامة :

- لقد طلبت من أبى أن أخطبك وقد وافق , فهل توافقين ؟

استردت بعض الوعى وقالت

- إنهم يقولون أنى مجنونة . فهل تتزج مجنونة ؟

قالت سعدية لمصباح

- هيا بنا نبتعد عنهما حتى ندعهما يتحدثان بحرية , فإن

حديث محمود أصبح مهما , وقد يكون علاجاً شافياً لها قال مصباح .

- الحق معك

وتركاهما .. إلى اخر المصطبة .. استطرد محمود

- أريدك كما انت .. أنت بالنسبة لى نعايم التى أحببتها وساظل أحبها ايا كانت حالتها .. أرجو أن توافقى .

ظلت نعايم شاردة الذهن .. استطرد محمود

- تذكرى يا نعايم عشنا تحت الصفصافة .. أنا أحبك , وانت تحبيننى .. تذكرى يا نعايم .. تذكرى أرجوك .. انا محمود حبيبك وسوف أعوضك عما فاتك من فترات الشقاء

نظرت اليه نعايم , وركزت نظراتها فى عينيه كما لو كانت تتذكر شيئاً من الماضى , او شيئا مما قاله , استطرد محمود

- سوف أخطبك من مصباح هل توافقين ؟

نظرت اليه نعايم قائلة :

- هل تريد أن تتزوجنى ؟

- أجل يا نعايم

- حسناً .. نتزوج

صاح محمود

- مصباح .. أقبلاً .. لقد وافقت نعايم

أقترب مصباح وسعدية . قال محمود لمصباح .

- هل توافق على زواجى من نعايم ؟

- أجل يا محمود .. أجل بارك الله لكما

انتهز مصباح الفرصة . وقال لنعايم

- مبروك يا نعايم .. محمود خطبك وأنا وافقت

اخيرا قالت نعايم .

- محمود خطبنى

قالت سعدية

- أجل يا نعايم .. مبروك .. محمود سوف يعوضك عما فات

بدت السعادة على وجه نعايم، عاد محمود إلى والده واخبره أنه طلب يد نعايم من مصباح. وقد وافق مصباح . قال له والده

- وكيف حالها الأن ؟

- انها فرحت .. كل ما ارجوه منك يا أبى ان تبارك زواجنا

- يا بنى يهمنى سعادتك ..هل فكرت فى طريقة معيشتكما ؟

- الأمر أمرك يا أبى

- من الضرورى ان تكون قد فكرت

- أرى يا ابى – والأمر فى النهاية لك – إن نعايم هى صاحبة الدار والأرض . فاسمح لى أن أعيش معها فى دارها إلى ان يتم شفاؤها .

- ومصباح وسعدية ؟

- يذهبان إلى منزلهما

- وهل حدثتهما فى ذلك ؟

- سوف افعل

- والطفل ؟ هل فكرت فيه ؟

- سوف تأخذه سعدية لتربيه , فهى حالياً التى تقوم بتربيته حتى تسترد نعايم وعيها الكامل فتسترد طفلها

- وهل تعتقد ان جابر سوف يوافق على ذلك ؟

- إن جابر خبيث ولئيم , وهو يعلم أن زوجته لن تربى ابنه من

زوجته السابقة , فكيف يجلب لنفسه المشاكل , ولماذا يتعب فى تربيته بينما الغير يقوم بذلك نيابة عنه

- معك حق يا بنى

عندما اخبر محمود مصباح برأيه قال مصباح

- هذا حقك يا أخى , وسوف أذهب إلى دارى , أنا وسعدية , ولم نشأ أن نتركها وحيدة

- أنت أخوها وسعدية أختها .

- على بركة الله يا محمود وسوف تحضر اليها سعدية يومياً لتعد لكما الطعام وشئون المنزل إلى أن تستطيع نعايم فعل ذلك وحدها ودون الاستعانة بأحد .

- شكراً لك يا مصباح

حدد محمود ميعاد عقد القران . حضر المأذون وهو يبدى اعتراضه قائلاً :

- انها فاقدة الإرادة ولا يصح لها الزواج

قال مصباح

- أنا وليها , وموافق على هذا الزواج

- يا بنى إنها فاقدة الإرادة

توسل محمود الى المأذون , وظل يرجوه ويستعطفه وقال له إن علاجها فى زواجها منه .. رق قلب المأذون لتوسلات محمود وقال

- سوف اسألها , فإن أجابت بالايجاب عقدت لك عليها

وسألها المأذون .

- هل تقبلين محمود رجب زوجاً لك ؟

صفقت نعايم بيديها مغنية

- الليله ليلة فرحى .. الليله ليلة فرحى

قال محمود معللاً

- ألم اقل لك يا سيدى إنها موافقة وفرحة

وخوفاً من ان يحدث منها شئ آخر جذبتها سعدية إلى الداخل قائلة : هيا لنقدم الشربات

اخيراً وافق المأذون على عقد القران , وشهد على العقد مصباح وأحد اقارب محمود .

أعدت سعدية طعاماً لنعايم ومحمود , وتعمدت أن تشرك نعايم فى صنع الطعام والحديث معها عن الزواج وفرحته وكانت تغنى لها وتصفق , مما جعل نعايم تبدو سعيدة وباسمة كما أخبرتها أنها سوف تزورها يومياً لتقضى لها حاجتها

أصبحت نعايم زوجة لمحمود .. وأنصرف الجميع ماعدا محمود وأبيه وامه وقال مصباح

- هذه الدار هى دار نعايم , وسوف اتركها لك يا محمود وأذهب إلى دارى ولك أن تقيم فيها مع زوجتك , هيا يا سعدية

طبعت سعدية قبلة على خد نعايم واحتضنتها , ودعت لها بالشفاء والهناء مع محمود , وباركت لها الزواج أما مصباح فقد سلم عليها وبارك لها ثم توجه إلى محمود معانقا وقال

- لقد تركت نعايم أمانة لديك يا محمود وأنا واثق أنك جدير بحفظ الأمانة ورعايتها

قال محمود :

- تأكد يا مصباح وانت يا سعدية أن الله سوف يوفقنى إلى هناء نعايم وادعوه ان يمنحنى القدرة على تعويضها ما فاتها وما لاقته .. كما انى متأكد أنها سوف تعود الى حالتها الطبيعية فى اقرب وقت ان شاء الله

انصرف مصباح مع زوجته وهى حاملة الطفل متوجهان الى دارهما وانصرف الأب مع زوجته , أما محمود فقد أخذ بيد نعايم ودخل بها الدار

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع